
المجلد السابع والاربعون
المجلد ٤٧
شعارنا الوحيد
إلى الإسلام من جديد
البعث الإسلامي
العدد العاشر
مجلة اسلامية شهرية جامعة
جمادى الثانية رجب ١٤٢٣هـ
في هذا العدد
أدبنا العالي من أجمل آداب العالم !
ذات الباريء تعالى في ضوء الكتاب والسنة
نحن و التقدم ؛ و ، بين التحديث والتغريب
معاناة الشعوب المسلمة و مشكلاتها !
وسائل الإعلام الحديثة ؛ والدعوة الإسلامية
نظرة عابرة على القضاء ؛ والقضاة في الإسلام
دلالة الألفاظ وتطورها
أول حوار مع خليفة الإمام أبي الحسن الندوي
الابتهال [شعر]
نظرة عابرة على حياة الفقيه الإسلامي
القاضي مجاهد الإسلام القاسمي
بين عدل القضاء و مصلحة السياسة
تصدرها:
مؤسسة الصحافة والنشر
AL-BAAS-EL-ISLAMI
(Issue-9) Aug.-Sep. 2002 (Monthly)
إصدارات جديدة :
في وطن الإمام البخاري
بقلم
سعادة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي
رئيس ندوة العلماء العام
ورئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية
لشبه القارة الهندية وما جاورها من البلدان الشرقية
ملتزم النشر والتوزيع
رابطة الأدب الإسلامي العالمية
ص.ب ٩٣ لكناؤ (الهند)
Printed and Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlise Sahafat-Wa-Nashriyat (Deptt. Of Journalism and Publicity) NadwatulUlama at Parekh Offset Printing Press, Tagore Marg, Lucknow. U.P.
Saged-Al-Azami-Al-Nadwi



الاشتراكات السنوية

في الهند :
ماتا روبية ۰۰/۲۰۰
ثمن النسخة : ۲۰/روبية

في العالم العربي
و في جميع دول العالم :
۲۵/دولاراً بالبريد العادي
و
٤٠/دولاراً بالبريد الجوي
☆☆☆

عنوان المراسلات

ترسل الاشتراكات بالشيك :
باسم : "البعث الإسلامي"
(ALBAAS-EL-ISLAMI)

☆☆☆

وذلك بالعنوان التالي

مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ،
ص.ب ۹۳ لكناؤ (الهند)
☆☆☆

ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o. NADWATUL-ULAMA
P.O. Box : 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)
☆☆☆

❁ المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

حضرات إخواننا القراء !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد ! فأحمد الله سبحانه وتعالى على هذا التوفيق الغالي الذي أكرمنا به من الاستمرار في خدمة العقيدة والفكر ، و في مجال البعث الإسلامي ، بطريق مجلة : "البعث الإسلامي" راجياً من الله سبحانه أن يكرمنا بالتأييد الدائم ، و بروح من الاستقامة والصمود ، و الثبات على هذه الجبهة الدقيقة في ظروف صعبة و أوضاع متأزمة تمر بها الأمة ويتعرض لها المسلمون اليوم في كل مكان نحو دينهم وشريعتهم ورسالتهم العالمية .

وبمجرد توفيق الله ومشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية في المجلة كما يراها و يسر بها القارئ الكريم ، و لا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت كثيراً بغلاء أسعار الورق و الطباعة وأجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته في سبيل دعم المجلة وتوسعة نطاق المشتركين الجدد فيها، ويشاطرنا في أداء بعض الواجب الذي نتحمله الآن ، ويسمح لنا بلفت الأنظار إلى التعاون على البر والتقوى .

والتحديات تتجدد كل يوم ، وهي تنذر بشر مستطير ، فنرجو أن تتعاونوا معنا على كل جبهة ، ولكم شكرنا وتقديرنا.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

٨٨٢١
١٤١٩٥٥
١/٢

أنشأها : فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني -رحمه الله تعالى-
في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

رئاسة التحرير :
سعيد الأعظمي
واضح رشيد الندوي

المجلد السابع والأربعون

العدد العاشر
جمادى الثانية رجب ١٤٢٣هـ
سبتمبر أكتوبر ٢٠٠٢م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال ، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير ، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة و المنصوص ، و قامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، و أن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير و التجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح و التجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه ، ويحذف منه بحسب تطورات العصر ، و حاجات المسلمين و أحوالهم .

(أبو الحسن علي الحسني الندوي)
(رحمه الله)

المراسلات
البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب ۹۳ - لكناؤ
الرمز البريدي : ۲۲٦۰۰۷ (الهند)
تلفون : ۷۸۷۲۵۰-۰۵۲۲

المراسلات
ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o NADWATUL ULAMA
P.O. Box : 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)
Ph: 0522-787250

محتويات العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الإمام الندوي (رحمه الله) يقول :

أدبنا العالي من أجمل آداب العالم !

إنني لا أزدري كتب الأدب القديمة – من رسائل ومقامات وغيرها – ولا أقلل قيمتها اللغوية والفنية ؛ وأعتقد أنها مرحلة طبعية في حياة اللغات والآداب ، ولكنني أعتقد أيضاً أنها ليست الأدب كله ، وأنها لا تحسن تمثيل أدبنا العالي الذي هو من أجمل آداب العالم وأوسعها ، وأنها جنت على القرائح ؛ والملكات الكتابية ، والمواهب والطاقات ، وعلى صلاحية اللغة العربية ؛ ومنعت من التوسع والانطلاق في آفاق الفكر ، والتعبير والتحليق في أجواء الحقيقة والخيال ، وتخلفت بهذه الأمة العظيمة ذات اللغة العبقرية ؛ والأدب الغنيّ ، فترة غير قصيرة ، فخير لنا أن نعطيها حظها من العناية والدراسة ؛ ونضعها في مكانها الطبيعي في تاريخ الأدب ؛ وطبقات الأدباء ، وأن ننقب في المكتبة العربية من جديد ، ونعرض على ناشئتنا ؛ وعلى الجيل الجديد نماذج جديدة من الكتب القديمة للأدب ؛ حتى يتذوق جمال هذه اللغة ؛ وينشأ على الإبانة ؛ والتعبير البليغ ، ويتعرّف على هذه المكتبة الواسعة ؛ ويستطيع أن يفيد منها

الافتتاحية :

معاناة الشعوب المسلمة ومشكلاتها في هذا العصر

هذا الموضوع أصبح اليوم أوضح منه بالأمس ، فقد توسع نطاق القضايا ؛ والمشكلات ومعاناة المسلمين من خلالها إلى حد لا نهاية له ، فإن ما يحيط بهم من تحديات ؛ و ما يهددهم من مخاوف وأخطار في حياتهم الفردية والجماعية ، قد يكون باعثاً على ما يستنفد صبرهم ، وقد جرب العالم قصة الشعب المسلم الفلسطيني الذي صبر على الظلم و العدوان ؛ وجرائم الاحتلال والاجتياح إلى مدة طويلة ، وتوقع أن يحظى بشرعية الإنصاف من الأمم المتحدة ، وينال حقه الطبيعي للعيش في بلاده بسلام ، ولكن أيدي الظلم والاضطهاد ؛ واغتصاب الحقوق الإنسانية قد امتدت إليه وطالت ؛ حتى ضيقت عليه الخناق ، وأصبحت الأمة الإسلامية في فلسطين تشعر بأن الصبر الطويل على هذه الجريمة ؛ والسكوت عليها لا يتمخض إلا بتضخم آليات الظلم علناً وجهاراً ؛ وعمليات القصف والنسف السافرة ؛ وقد تنتهي إلى الإبادة الكاملة .

وهنالك أنشئت منظمة التحرير والمقاومة الفلسطينية لصدّ العدوان ، ومقاومة الظلم والطغيان ، وبرزت حركات أخرى غيرها تتوخى دراسة القضية على الصعيد العالمي ؛ والاعتراف بالواقع التاريخي للأرض المقدسة ؛ والمسجد الأقصى ، ومنح المسلمين حرية لأداء شعائرهم الدينية ؛ والتمتع بحق العيش في ضوء الشريعة الإسلامية ، كما تعيش جميع الشعوب والأمم ؛

وقد سبقت منا الشعب الفلسطيني تضحيات جسيمة في هذا السبيل ، ولكن غطرسة الصهيون لم تزل تتزايد ضد هذا الشعب المسلم ، بموازرة من أكبر وأقوى دولة في العالم ؛ حتى عيل صبر الشعب الفلسطيني ؛ وعزم على مقاومة العدوان وصده بأي طريق مهما كلف ذلك من ثمن غال ، وخاض الحروب ضد الكيان الصهيوني بطريق العمليات الاستشهادية ، مما نشر الذعر في المجتمع الصهيوني ؛ وأصبحت حياة الصهاينة مهددة في كل حين من خلال هذه العمليات ، وقد رأى العالم كله وشهد ما قد فعله العدو الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني العزل ، وما قام به من عمليات الاقتحام إلى المدن والقرى الفلسطينية ؛ وتدمير المنازل والبيوت على أهلها ، وفرض الحصار حولها ، لمنع كل إسعاف أو عون يأتي إليهم من الجهات الأخرى ، وتعذيب الشباب والأطفال ؛ وقد بلغ العدو في جراءته و وقاحته إلى أنه لم يرحم النساء والعجائز ؛ وحتى المرضى والمعوقين ؛ وما قصة تدمير مقر السلطة الفلسطينية في الخليل على جميع من كانوا فيه إلا استهانة بحق الشعب الفلسطيني ؛ وازدراء بوجوده .. وقد بلغ استخفافه السلطة الفلسطينية إلى آخر حد ، حيث قام بالحصار وتدمير مقر ومكتب رئيس السلطة الفلسطينية كمسلسل إجرامي ؛ يشهده العالم المتمدين دون أن ينبس ببنت شفة ضده ، أو يستنكره .

و كان خطاب الرئيس الأمريكي المترقب خلاف ما توقعته الأوساط المعنية بالقضية ، ومنذ ذلك الوقت تضاعفت العمليات الإجرامية ؛ ونال به العدو الصهيوني تشجيعا كاملا على الاستمرار في جميع ما يرتكبه الكيان الصهيوني من أعمال وحشية ضد الشعب الفلسطيني ؛ وإقراره على المضي قدما في تنكيل هذا الشعب المسلم البريئ بأنواع من النكال ، وقد أفادت الأنباء الوارة من الضفة الغربية أن الكيان الصهيوني قام بتكثيف عمليات

من الحصار حول السكان الفلسطينيين ؛ وإجراءات القصف والنسف ضدهم ، ولم يكن ذلك إلا تحقيقا للأحلام اليهودية على المستوى العالمي ، وإعطاء الضوء الأخضر لإسرائيل ؛ لكي تظل قائمة بجرائمها السوداء في ظل التعاون الدولي الغربي ، وغمط حقوق الشعب الفلسطيني في أراضيه و دياره بأي طريق ممكن .

فإذا حدثت ردود فعل على هذا القرار الإجرامي على المستوى العالمي بين أوساط المسلمين ، وبرزت هناك نفسية المقاومة لصد الظلم السافر ؛ والعدوان البشع على شعب مسلم أعزل بريئ ، لا يطالب إلا بحقه في وطنه ؛ والعيش فيه في ظل الأمن والعدل ، فلن يكون ذلك إلا واقعا طبيعيا ؛ يبذل فيه الإنسان جهده المستطاع للدفاع عن نفسه و مجتمعه ، حتى إن الحيوان يستعمل هذا الحق الطبيعي للدفاع عن نفسه كلما وقع عليه الظلم والأذى ، كالسنور المغلوب يصول على الكلب ، ولكن ليس هناك من يسمى ذلك إرهابا أو إجراما ؛ فهل من المعقول ؛ أيها الناس ! أن نتهم المسلم بالإرهاب ؛ وننظر إليه من خلال منظار إرهابي ، يهدد الأمن العالمي ويجتث جذوره في المجتمعات الإنسانية ؛ أما ما تتلطخ فيه أيدي الظالمين المجرمين من دماء الأبرياء ؛ والغارقين فيها إلى الآذان ؛ وقتلهم وإبادتهم وتشريدهم ؛ فلا يعد إرهابا ؛ ولا يعتبر جريمة من أي نوع ! إنه منطق معكوس لا يقره العقل ؛ ولا يؤيده واقع تاريخي في أي فترة من تاريخ العالم .

وهناك شعوب مسلمة في كل مكان ؛ إلا أنها متهمة بالإرهاب ؛ ونقض قوانين الآداب ، والتاريخ البشري سوف لا ينسى ما قد حدث في أفغانستان ، وشيشان ، والفلبين ؛ والسودان ؛ وكثير من بلدان المسلمين في أي جزء من العالم ؛ من الاحتلال العسكري ؛ وشراء الضمائر بثمن بخس

دراهم معدودة ، وتبرير كل ظلم وعدوان ضد السكان المسلمين بحجة أنهم إرهابيون ؛ أو أنهم يساندون الإرهاب ، ويشجعونه بأساليب متعددة ، حتى إن الزي المتميز الذي يختاره المسلم ؛ ويجعله علامة إسلامه ، أصبح مهدداً ؛ وموضع شك ، وصالحاً للزجّ في السجون من غير تأخير ولا تردد ، وقد وضع في بعض الأقطار لتبرير ذلك قانون يسمح بالقبض على من يحمل شعار "الإرهاب" وتشير إليه أصابع الاتهام .

في مثل هذا الوضع يقف المسلمون اليوم موقفاً حرجاً منه ، وتتفاقم أشكال المعاناة والمكابدة من غير سبب أو جريرة ، وتتضايق عليهم أسباب العيش في سعادة وأمن ، وتتضاعف مشكلاتهم في كل مجال ؛ ولدى كل نشاط ، وقد تضيق عليهم الأرض بما رحبت ، كما هو الوضع في عديد من أقطار العالم ؛ التي يعيش فيها المسلم في خوف وحزن ، ويحلم بالشقاء والعذاب في كل حين ؛ ويزيغ قلبه ، كما قد صوّر ذلك كتاب الله تعالى في ذكر المتخلفين عن الحضور في غزوة "تبوك" ؛ فتابو إلى الله تعالى .

﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار * الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم * ثم تاب عليهم * إنه بهم رؤوف رحيم * وعلى الثلاثة الذين خُلّفُوا * حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت * وضاقت عليهم أنفسهم * و ظنُّوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه * ثم تاب عليهم ليتوبوا * إن الله هو التَّوابُ الرحيمُ ﴾.

[سورة التوبة/١١٧-١١٨]

ذلك هو العلاج الوحيد ليس غير ؛ علاج الشقاء والذل والخوف والحزن ؛ الذي يعيشه المسلم ، وعلاج الاستكانة والخنوع أمام قوى الجبر والطاغوت ؛ وعلاج اليأس والتشاؤم الذي يسيطر على نفسه ، فلا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه

لا شئ أخوف على الإنسان من الخوف والحزن ، فإنه لا يكاد يتمتع بالعيش السعيد ، والحياة الآمنة المطمئنة ؛ ما لم يفارقه هذا الخطر المزدوج ، ولا يسعه ذلك إلا بالإيمان القوي ؛ والاستقامة الكاملة ، كما قد تحدث الله سبحانه عن ذلك الواقع الموجود الملموس في كتابه تبارك وتعالى ؛ فقال :

﴿ إن الذين قالوا ربنا الله * ثم استقاموا * تتنزل عليهم الملائكة * ألا تخافوا * ولا تحزنوا * وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا * و في الآخرة * ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم * ولكم فيها ما تدعون * نزلا من غفور رحيم ﴾ ؛ ويقول في آية أخرى :

﴿ إن الذين قالوا ربنا الله * ثم استقاموا * فلا خوف عليهم * ولا هم يحزنون * أولئك أصحاب الجنة * هم فيها خالدون ﴾

فما أجدرنا نحن المسلمين ؛ والشعوب المسلمة في كل مكان بأن نتدبر في هذه الحقيقة السماوية ؛ ونمثلها في حياتنا ؛ وجميع شئوننا ، بعيدين عن جميع الإغراءات الحضارية والفتن المادية مع الاهتمام بالإعداد المستطاع من القوة الظاهرة التي إذا التقت بالقوة الإيمانية ؛ جاءت بالعجائب ؛ وأتت بالمعجزات ، وصنعت تاريخا جديدا من البطولة ؛ والعزة والغلبة على مواضع الضعف كلها ، واستبدالها بالإيمان ؛ والاستقامة ؛ والهدوء ؛ والطمأنينة ، ومهما كانت الأوضاع معاكسة ، وكانت المخاوف والمخاطر تمددنا بشقاء وتعاسة ؛ فإن الله تعالى ناصرنا ؛ ويرسل إلينا المدد من فوق سبع سماوات .

يقول الله تعالى : ﴿ وما النصر إلا من عند الله ﴾ ؛ ويقول : ﴿ إن تنصروا الله ينصركم * ويثبت أقدامكم ﴾ ؛ ويقول : ﴿ ومن يتوكل على الله * فهو حسبه ﴾ . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

سعيد الأعظمي

١٤٢٣/٥/٦هـ

التوجيه الإسلامي :

ذات الباري تعالى

في ضوء النظريات القديمة والحديثة

[٨/الأخيرة]

بقلم : فضيلة الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي رحمه الله
الأمين العام السابق للأكاديمية الفرقانية ، بنغلور – الهند * (تعريب : الأخ محمد وثيق الندوي)

حيرة أهل الكلام في الإلهيات :

في الواقع كان صرح الفلسفات اليونانية قائما على مجرد المفروضات والتخيلات ، فلا جل ذلك كان الفلاسفة القدامى يصدرون فتاوى ، ويتخذون قرارات خطيرة لا تمت إلى الحقائق والثوابت بصلة ما ، معتمدين على الظن ، و لكن مع ذلك توجد بينهم نزاعات و خلافات كثيرة ، حتى لم يتم الاتفاق فيما بينهم على أي قضية أو نظرية ، بل كان كل منهم صاحب نظرية على انفراد ، ولم يكن الاتفاق والتفاهم فيما بين الفلاسفة ، كما يتفق علماء الطبيعة فيما بينهم في علوم الطبيعة التجريبية الحديثة ، لأن العلوم الطبيعية القديمة أو الفلسفة القديمة لم تكن تجريبية ، بل كانت وهمية خيالية ، فلذلك كانت نظرياتهم يختلف بعضها عن بعض .

و لكن متكلمي الإسلام تجاهلوا هذه الحقيقة في جانب ، وفي جانب آخر أعرضوا عن نصوص الكتاب والسنة الواضحة ، وبدأوا يتناغمون مع أصوات الفلاسفة ، وقد آمنوا بنظرياتهم القديمة المنهارة إيمانا كأنها نزلت من السماء ، أو كأنها عقائد تجريبية ؛ ومجمع عليها ، ويتضح من ذلك بكل وضوح وجلاء أن ذلك لم ينتج إلا الحيرة والتيه .

يقول العلامة ابن تيمية معقبا على خلافات الفلاسفة ومخاصماتهم ومشاجراتهم فيما بينهم : "لا يوجد في نظريات الفلاسفة شئ متفق عليه ، بل اختلافاتهم فيما بينهم كثيرة جدا ، حتى تضاءلت أمامها نسبة ما بين فرق المسلمين واليهود و النصارى من خلافات ونزاعات ، فإن الفلسفة التي دعا

إليها فارابي وابن سينا ؛ هي فلسفة "المشّائين" الذين يتبعون أرسطو ، وأما الاختلافات والنزاعات التي توجد بين أرسطو وبين سلفه (المتقدمين من الفلاسفة) لا يمكن التعبير عنها ، وأما الاختلافات التي توجد بين الفرق الفلسفية الأخرى ، فإن ما يوجد في علم الهيئة من الاختلافات ، فهي كثيرة جداً بالنسبة لما يوجد فيما بين جمع فرق أهل القبلة من خلافات و نزاعات ، و علم الهيئة في الواقع يدخل في علم الرياضي الذي يسمى بـ"علم الحساب" ؛ وهو يعدّ من أصح العلوم عندهم ، فهذه حال اختلافاتهم حول هذا العلم الأصح ، فماذا تكون حال اختلافاتهم ونزاعاتهم في الطبيعيات والمنطق ؟ فضلا عن الإلهيات ! (٩٣) .

وقد سرد أبو الحسن الأشعري هذه الاختلافات والنزاعات فيما بين الفلاسفة في كتابه : "مقالات غير الإسلاميين" كما ذكرها الشهرستاني في كتابه : "الملل والنحل" .

و كذلك آراء الفلاسفة و وجهات نظرهم تجاه المسائل المتعلقة بالطبيعيات ، متعارضة متباينة ، فاختلافهم حول : "الجسم" ؛ هل هو مركب من "الصورة" و"المادة" أو من الأجزاء غير المنقسمة (الجواهر الفردة) أو ليس مركبا من هذا ولا تلك ؟ ففي هذه المسائل كثير من الفلاسفة الحذاق والمهرة من أمثال أبي الحسين البصري ، وأبي المعالي الجويني وأبي عبد الله الخطيب مضطربون حيارى (٩٤) ، كما أنهم مضطربون في مسألة : "الجوهر الفرد" ؛ فإنهم حينا يتوقفون ؛ ويتريثون بهذا الصدد ، و حينا يبتون الحكم بالجزم ، فكل منهم يذكر في كتبه قولين متعارضين حينا ، ويعرب عن عجزه وحيرته بهذا الخصوص حينا آخر ، بينما يزعم أن كل ما بينه هو دليل عقلي لا يقبل شكا ؛ ولا جدالا (٩٥) .

وبناءا على ذلك فإن "أساطين الفلسفة يزعمون أنهم لا يصلون فيه إلى اليقين ، وإنما يتكلمون فيه بالأولى والأحرى والأخلق ، وأكثر الفضلاء

العارفين بالكلام ؛ والفلسفة بل وبالتصوف الذين لم يحققوا ما جاء به الرسول تجدهم فيه حيارى" (٩٦) .

قد كتب بهذا الخصوص الإمام الغزالي ؛ وهو يستعرض أسباب اختلافاتهم : إن سبب التناقض والتعارض في الفلسفة اليونانية ؛ هو أن الفلاسفة اليونانيين يردون وينفون بعضهم بعضاً ، فبناءا على ذلك : "ليعلم أن الخوض في حكاية اختلاف الفلاسفة تطويل ، فإن خبطهم طويل ، ونزاعهم كثير ، وآراؤهم منتشرة ، وطرقهم متباعدة متدابرة" (٩٧) .

وبسبب هذه الحيرة قد اعتزل الغزالي في آخر عمره عن الفلسفة والكلام ، إلى التصوف والحديث ، وذكر تفصيل ذلك في سيرته : "المنقذ من الضلال" فكتب في موضع منه ؛ وهو يعلق على كلام المتكلمين : ""ولم يكن في كتب المتكلمين من كلامهم – حيث اشتغلوا بالرد عليهم – إلا كلمات مبددة معقدة ، ظاهرة التناقض و الفساد ، لا يظن الاغترار بها لعاقل عامي ، فضلاً عمن يدعى دقائق العلوم" (٩٩) .

ويكتب بهذا الصدد العلامة صدر الدين على مؤلف شرح الطحاوية أن المتفلسفين يتذبذبون ؛ ويترددون بين الكفر والإيمان ، والتصديق والتكذيب ، والإقرار والإنكار دائماً ، وهذه الحال للذين يعدلون عن الكتاب والسنة إلى علم الكلام المذموم ، أو يؤثرون الآراء الإنسانية عند التطبيق بينهما ؛ إذا تعارضا مؤولين في النصوص ، فمثل هؤلآء لن يظفروا بشئ إلا الحيرة والارتياب والضلالة والتيه (١٠٠) .

المجموع الحاصل من علم الكلام والإلهيات :

في الواقع أن متكلمي الإسلام لم يصبغوا بحوثهم الكلامية بصبغة إسلامية خالصة ، بل جعلوها مزيجاً من الإلهيات اليونانية لم يبق إسلامياً ؛ ولا يونانياً ، بل حولت عقائد الإسلام إلى "جنس ثالث" بعد ما كسوها لباس الفلسفة اليونانية ، وبالتالي أصبحت العقائد الإسلامية مغلوبا عليها ،

والفلسفة اليونانية غالبة ، ولم يسلم من ذلك كبار العلماء أيضا .

فإن ما كتبه ابن خلدون بهذا الشأن صحيح ؛ وهو يكتب :

"وصار علم الكلام مختلطا بمسائل الحكمية ، وكتبه محشوة بها ، كأن الغرض من موضوعهما مسائلهما واحدا . والتبس ذلك على الناس ، وهو غير صواب ، لأن مسائل علم الكلام ؛ إنما هي عقائد متلقاة من الشريعة ، كما نقلها السلف من غير رجوع فيها إلى العقل ؛ ولا تعويل عليه ، بمعنى أنها لا تثبت إلا به ، فإن العقل معزول عن الشرع وأنظاره ، وما تحدث فيه المتكلمون من إقامة الحجج ؛ فليس بحثا عن الحق فيها ، فالتعليل بالدليل بعد أن لم يكن معلوما ؛ هو شأن الفلسفة" (١٠١) .

ويضيف إلى ذلك : "أما البراهين التي يزعمونها على مدعياتهم في الموجودات ؛ ويعرضونها على معيار المنطق و قانونه ؛ فهي قاصرة وغيروا فية بالغرض (١٠٢) .

ثم كتب بعد ذلك حقا : وأما ما كان منهما من الموجودات التي وراء الحس ؛ وهي الروحانيات ؛ ويسمونه العلم الإلهي ، وعلم ما بعد الطبيعة ، فإن ذواتها مجهولة رأسا ، ولا يمكن التوصل إليها ؛ ولا البرهان عليها" (١٠٣) .

فانطلاقا من هذا المنطق يرى ابن خلدون : "إن هذه العلوم عارضة في العمران كثيرة في المدن ، وضررها في الدين كبير" (١٠٤) .

توبة المتكلمين ورجوعهم :

وبناءا على ذلك قد تراجع بعض كبار المتكلمين ؛ وأساطين الفن في آخر عمرهم عن الفلسفة ؛ وعلم الكلام ؛ وتابوا ، وبرأوا نفوسهم منهما ، من أمثال العلامة ابن رشد ، والعلامة الآمدي ، والإمام الغزالي ، والإمام الرازي ، وعبد الكريم الشهرستاني ، وإمام الحرمين جويني ، وغيرهم ، وكلهم قد اعترفوا اعترافا صريحا بأن البحوث الفلسفية والكلامية لا تسفر

إلا عن الحيرة والشك ، فقد سلم الإمام الغزالي روحه الزكية إلى بارئها ؛ و صحيح البخاري على قلبه (١٠٥) ، ونحكي قصة اعتراف الإمام الرازي ؛ فيما يلي :

لما نظرت في البحوث الكلامية ؛ والمناهج الفلسفية ، وجدت أنها لا تشفي المريض ؛ ولا تسمن ولا تغني من جوع ؛ ولا تطفئ غلة العطشان ؛ كما رأيت أن أقرب الطرق ؛ هو طريق القرآن الكريم ، فورد فيه بشأن الإثبات : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ و : ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ ؛ كما جاء فيه بشأن النفي : ﴿ليس كمثله شئ﴾ و : ﴿ولا يحيطون به علما﴾ ؛ ثم يقول : من جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي (١٠٦) .

فخلاصة البحث : إن الطرق والمناهج الفلسفية ؛ والبحوث الكلامية لا تزيد صاحبها إلا حيرة وضلالة وخبالا، لأن البحث عن الهدى والصراط السوي في غير كتاب الله تعالى ؛ وشريعته الغراء ، لا يهدى إلا إلى الضلالة والمتاهة ، وليس عند المعرضين عن كتاب الله تعالى أي دليل عقلي ؛ يقال له : "برهان" بل عندهم أكوام وأكداس لآراء متعارضة ؛ وأقوال متباينة متناقضة لا تزيدهم إلا شكا وريبة ، فإن كل ما ورد في الكتاب والسنة بشأن ذات الله تبارك وتعالى وصفاته ؛ فهو حكم نهائي يجب الإيمان به بدون أي سؤال عن ذلك ، وإلا فلا ننجو من الضلالات والمتاهات ، وقال رسول الله ﷺ : "تركت فيكم أمرين لن تضلو ما تمسكتم بهما : كتاب الله ؛ وسنة نبيه" (١٠٧) .

القرآن الكريم ؛ وعلوم الطبيعة ؛ والفلسفة اليونانية :

قد اتضح وضوحا جليا من هذه الدراسة أنه قد سهلت الاكتشافات العلمية الحديثة عمل تنقيح وتحقيق العقائد الإسلامية ، فيمكن تقديم أدلة جديدة منوعة على وجود البارئ تعالى ؛ وتوحيده في ضوء اكتشافات علمية حديثة متنوعة ، وهذه الدلائل الحديثة تدعو إلى النظر

والتدبر، وبهذا الاعتبار يوجد ارتباط ؛ وتنسيق بين القرآن الكريم ؛ والعلوم الطبيعية بصورة كاملة ، بل يبدو من خلال الدراسة الواعية الموضوعية أن علوم الطبيعة اليوم تعمل وفق ما ورد في القرآن الكريم ، فبهذا الاعتبار أنها خادمة القرآن الكريم ، وإن كانت أهدافها وأغراضها غير ما يهدف إليه القرآن الكريم باعتبار الكون ، و مهما كانت وجهة نظرها الأساسية مادية ؛ وبالعكس الفلسفة اليونانية "وهمية خيالية" بحتة ، إذ أن العلوم الطبيعية الحديثة "تجريبية" ؛ فلأجل ذلك كلتاهما متضادتان .

في الواقع أن الهدف الذي دعا من أجله القرآن الكريم إلى التحقيق والبحث عن الحقائق والأسرار الموجودة في مظاهر الكون عبر تحقيق هذه المظاهر الكونية وتدوينها ، يتحقق اليوم بفضل المعطيات والاكتشافات التي تحققها ؛ وتقوم بها العلوم الطبيعية الحديثة ، ولابد من إبراز حقائق نظام الفطرة ؛ وأسراره الكامنة ؛ بكل أمانة ؛ وعدم انحياز لنؤثر على النوع البشري بأسلوب مؤثر ، فبهذا الاعتبار تفتضح الفلسفة اليونانية ، وتظهر خرافتها ، وتنكشف عوراتها ، بفضل الاكتشافات العلمية الجديدة في جهة ، وفي جهة أخرى يبرز ويظهر الإعجاز العلمي العظيم للقرآن الكريم ، وتفوقه ظهورا جليا ، فلابد اليوم من الرد على الفلسفات الباطلة بشتى أنواعها الهدامة ، ودحضها وإبطالها ، لإثبات أحقية العقائد الإسلامية ؛ وسدادها وصوابها ؛ في ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة ، وهذا العمل أصبح اليوم سهلا جدا ، فينبغي لعلماء الأمة أن يقوموا بهذا العمل الجليل ، و يشمروا له عن ساق الجد ، ويمكن أن يهتدي بهذا الطريق الجنس البشري كله إلى الطريق السوي ، وفي هذا العصر الراهن للعلوم الطبيعية جولة وصولة ؛ ولأجل ذلك فإن الكلام الذي يعرض في أسلوب علمي يؤثر تأثيرا عاجلا ، لأنه : "عملة متداولة" ، ولا يكون أي أثر للكلام الذي يكون منعزلا عن الاكتشافات العلمية ، لأنه قد رسخ اليوم في أذهان الناس أن "العلم" لا

يمكن تحصيله إلا عن الطرق العلمية ؛ والأساليب الحديثة المتطورة لعلوم الطبيعة ، وإن ما لا يثبت من الوجهة العلمية ، ليس بعلم رأسا ، فلابد اليوم من إثبات العقائد الإسلامية عن طريق الأساليب العلمية الحديثة لإتمام الحجة على الجنس البشري ، ومن أجل ذلك قد حث القرآن الكريم على التنقيب والبحث عن مظاهر الكون .

يحق لنا أن نسمي العلم الجديد الذي يدون لهذا الغرض بـ "علم الكلام الجديد" أو "فلسفة القرآن الكونية" ، وتحقيق هذا العلم وتدوينه حاجة قصوى لهذا العصر العلمي الراهن .

أما مسألة الاكتشافات العلمية ؛ هل هي معتبرة أم لا ؟ فإن الحقائق الثابتة عن طرق تجريبية ؛ وعن طريق الاستقراء ؛ لا تتغير ولا تتبدل ، بل لا يطرأ أي تبديل وتغيير إلا على الأمور غير التجريبية ؛ أو الأمور المفترضة ؛ وأوضح مثال لذلك الفلسفة اليونانية نفسها ؛ أو المفروضات اليونانية التي تفتضح ؛ ويظهر بطلانها في ضوء الحقائق التجريبية .

وليراجع للدراسة المفصلة في هذا الموضوع إلى كتابات المؤلف ، ولا سيما كتاب : "مظاهر التوحيد الشهودي في عالم الربوبية" و على كل ، فإن هناك مزقا كبيرا ؛ وبونا شاسعا بين الحقائق التجريبية ؛ والمفترضات ؛ والنظريات الخاطئة .

(هذا بصائر للناس)

المراجع :

(٩٣-٩٤-٩٥-٩٦) موافقة صريح المنقول : ١٢٨/١ .
(٩٧-٩٨) تهافت الفلاسفة ؛ الغزالي : ص/٤٠ ، ط/دار المشرق – بيروت ؛ سنة ١٩٩٠م .
(٩٩) المنقذ من الضلال ؛ أبو حامد الغزالي : ص/١٥ ، دار ابن خلدون إسكندرية .
(١٠٠) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية : ص/١٤٦-١٤٧ ، دار التراث القاهرة .
(١٠١) مقدمة ابن خلدون : ١٩٢/٢ ، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت .
(١٠٢-١٠٣-١٠٤) المصدر السابق : ٢١٢/٢ .
(١٠٥-١٠٦) ليراجع إلى شرح الطحاوية في العقيدة السلفية : ص/١٤٧ .
(١٠٧) موطأ إمام مالك ؛ كتاب القدر : ٨٩٩/٢ ، دار إحياء التراث العربي مصر .

نحن والتقدم .. بين التحديث والتغريب

بقلم : الدكتور عبد الحليم عويس
(مفكر إسلامي – مصر)

* منذ قرنين تقريبا ؛ ونحن نشعر بأننا متخلفون في النواحي التكنولوجية ؛ والتنظيمية ، وطيلة هذه الفترة ؛ لم يقع حوار شعبي مصحوب برعاية رسمية تضع أيدينا على أسباب تخلفنا ؛ وشروط تقدمنا ، وتقدم لنا الخطوات العملية التي يلتزم بها الحكام والمحكومون للخروج من هذا الواقع الحضاري المهين الذي لا يليق بديننا ؛ و لا تاريخنا ؛ ولا حضارتنا ... وحتى اليوم لم نضع أيدينا على شروط التفاعل الحضاري ؛ كما أننا لم نضع سنن الله في النهضة ؛ والتطور موضع التطبيق ، بل زاد الطين بلة أننا قد نستعمل مصطلحات التنوير ؛ والحداثة بطريقة قاتلة تقضى على ما بقي فينا من عناصر القوة والنهضة !!

* ومع ذلك وجدت كتابات رائعة لكنها لم تأخذ حظها من الانتشار ؛ أو التطبيق على المستوى الثقافي ؛ أو التربوي أو الحكومي ... وعلى رأس هذه الكتابات أفكار العلامة المهندس (مالك بن نبي) ، وأفكار عالم الاجتماع الإيراني (على شريعتي) ، وأفكار الأستاذ (محمد جلال كشك) رحمهم الله جميعا !!

* وكان أفضل ما قدمه هؤلآء لنا هو تفرقتهم الحاسمة بين (التحديث) الحقيقي المؤدي إلى النهضة الحقيقية ؛ و (التغريب) المؤدى إلى النهضة الشكلية ؛ والمظهرية ؛ ثم الانتحار ؛ والتبعية ؛ والانهزامية !!

* ونقدم هنا خلاصة لهذه التفرقة الواعية بين مصطلحي (التحديث)

صانع الفاعلية والإيجابية ، و (التغريب) صانع الانهزامية والانتحارية ... (فالتغريب) هو الذوبان في الغرب بخيره وشرّه تبعية تشبه تبعية القرود والعبيد ، و (التحديث) هو امتلاك المعرفة التي يتفوق بها الغرب ، وإنتاج كل المعدات التي ينتجها الغرب ، وهي علاقة إنسان بإنسان ؛ وتلميذ بأستاذ ، وليست علاقة عبد بسيد ؛ ولا قرد بإنسان ... (التحديث) يعني المساواة بالغرب إنسانياً ؛ وعقلياً ؛ وفكرياً ، والإيمان بأن التخلف شئ عارض يجتاح كل الأمم ؛ وأنه ظاهرة طارئة يمكن علاجها عند ما تلتزم الأمة (بشروط النهضة) ؛ وتمتلك (مؤهلات الحضارة) ؛ وتمضى في مسيرتها ملتزمة بسنن الله الكونية ، وعلى العكس من ذلك (التغريب) الذي يؤكد الانبهار بالعدوّ والاستسلام له .

* و (التحديث) يعني أن أعاني ميلاد الحضارة ، وأن أنشر الخشونة والتقشف ؛ حتى أهيئ المناخ المناسب للرجولة ؛ والنضال ؛ والجهاد الحضاري ...

* وإذا كان من حقائق علوم الحياة أن عملية نقل الدم تخضع لشروط دقيقة ؛ فإن (التغريب) ؛ هو (نقل الدم) مع اختلاف الفصائل ، أما (التحديث) ؛ فهو (نقل الدم) مع مراعاة الفروق ؛ والشروط الموضوعية ؛ حتى لا ينتهي الأمر بالموت المحقق للجسم المعالج عند ما يظهر التناقض بين الفصيلتين !!

المسلمون .. و قاعدة الظلم عندهم

* تؤكد الوثائق الخاصة بحرب "البوسنة والهرسك" أن ثلاثة أشخاص ؛ هم : (سلوبودان ميلوقيتش ؛ و رادوفان كراجيج ، و راتكو ميلادينوقيتش) ، كانوا القيادة الفاعلة ؛ والمؤثرة في قتل ؛ وإبادة أكثر من مائتي وخمسين ألفاً (٢.٥٠.٠٠٠) من المسلمين في البوسنة والهرسك ، وبالتأكيد كان هناك عدة مئات من الضباط قاموا بتنفيذ هذه الإبادة بهذه

الوحشية ، وهؤلاء وقادهم الكبار لم يصابوا بشئ ؛ حتى الآن ؛ ولم يقدموا للمحاكمة ، ولم يطالب أحد بتعويض المسلمين عما أصابهم !!

* و الحق أننا لا نبالغ إذا قلنا : إن "أمريكا" و "أوربا" مسئولان عن هذه الإبادة ، فقد كان بالإمكان الإيقاف الفوري للمذابح ، كما كان بالإمكان معالجة الأمر بطريقة قريبة من معالجته فيما لو كان هؤلاء القتلى من الجنس الأبيض الأوربي ؛ أو الأمريكي ؛ أو من غير المسلمين !!

* ولكي يتجلى لنا الأمر – بحيث يكون واضحا تماما – نذكر أن الجانبين الأوربي والأمريكي كانا طيلة سنوات الحرب الأربع يمنحان المسلمون وعودا وكلمات ، ويمنعان عنهم الأسلحة ... بينما كان الأمر على العكس من ذلك مع الصرب والكروات ، وهو الأمر الذي مكن الجانب غير المسلم من إبادة الأبرياء ؛ وقتل الأطفال ؛ والنساء !!

* بل إن المفاوضات التي كانت المساومات تطول حولها – عن عمد – لتعطي الصرب فرصة إبادة أكبر عدو من المسلمين ؛ كما يجري الآن في فلسطين ... هذه المفاوضات كانت المساومات تجري فيها من أجل ضمان قوة المعتدي ؛ وبقاء تماسكه ، وفي الوقت نفسه حرمان المعتدى عليه المسلم من حق تقوية نفسه ليكون مؤهلا للصمود ضد أي اعتداء في المستقبل ، لدرجة جعلت بعضهم يتساءل عن حقيقة اتفاقية (دايتون) التي كانت الأساس في نزع فتيل الحرب البوسنية – قائلا – : هل هذه – حقا – اتفاقية للسلام ؛ أو لمكافأة المعتدي ؛ وضمان جبروته ؛ وعقاب المعتدى عليه ، وضمان ضعفه ؟!!

* والحق أن ما جرى للمسلمين في البوسنة (نموذج) من نماذج كثيرة تدل على أصالة قاعدة (الظلم) في النظام العالمي عندما يتعامل مع المسلمين ؟!!

بل إن المسلمين وقعوا على اتفاقية (دايتون) مكرهين ، لأن وزير

خارجية أمريكا ؛ ومعه هول بروك (رئيس الوفد الأمريكي في المفاوضات) قد أبلغا المفكر ؛ والرئيس علي عزت بيجوفيتش بأنه إن لم يوقع على الاتفاقية ؛ فسيستدعي أمريكا ضدّه ؛ وسيفقد المسلمون ما بأيديهم الآن من أراض وسلاح ، وأنه من الأفضل له ؛ وللمسلمين أن يقوموا بإعادة بناء مدنهم وقراهم ، وأن يعيدوا توطين لاجئيهم ، وأن يحافظوا على ما بأيديهم من أراض ومصانع ، وقد صرح علي عزت عند وصوله للبوسنة عائداً من "دايتون" لمستقبليه قائلاً : ستعرفون بعد ثلاث ؛ أو أربع سنوات السبب الذي من أجله وقّعنا هذه الاتفاقية ..!! (وهي كلمات لها دلالتها من هذا الرجل الكبير) !!

* ومع أن قاعدة (الظلم) في التعامل مع المسلمين (ثابتة) ... في كل قضاياهم في فلسطين ؛ وفي الصين ؛ وفي الفلبين ؛ وفي القضية الكويتية العراقية المفتعلة ، وأختها (الأفغانية) – المفتعلة أيضاً .. إلا أنه .. مع ذلك كله – يقال عن المسلمين : إنهم المتطرفون ؛ والإرهابيون ؛ والظالمون ... ويستحقون بالتالي الإبادة الجماعية .. تماماً ؛ مثل : إبادة الهنود الحمر .. الظالمين أيضاً ..!!

يتصاعد تيار الخوف من الصحوة الإسلامية التي تخرق الحواجب كلها ، وتلامس أوتار القلوب ، وتشحنها بشحنة الحنين إلى الإسلام ، ورؤية المجتمع الإسلامي ، وتجربة الحياة الإسلامية حتى إن كثيراً من البلدان التي فيها الأقليات المسلمة قد أدركت مدى تأثير هذه الصحوة ؛ فقامت بإعدادات عسكرية ضخمة لمقاومتها ، وتصفية رجالها من الدعاة والعلماء والقادة ، وبالتالي القضاء على جميع الحركات الإسلامية التي تؤدي أمانة الكلمة ، وتبلغ رسالة الإسلام إلى الناس ، وقد ظهرت هناك تصميمات دقيقة لبث الذعر والخوف بين أوساط الأمة المسلمة ، وقتل أفرادها بوحشية وضراوة بالغتين ، وإقامة مجازر في المجتمعات التي يعيش فيها المسلمون .

* * *

المبحث الثاني

وسائل الإعلام الحديثة

وإمكانية الاستفادة منها في الدعوة إلى الله [٣]

بقلم : الأستاذ محمد نعمة الله محمد إدريس الندوي

تعريفها :

عرفنا فيما مضى أن الاتصال بين الإنسان قدم الإنسان ذاته ، وكان لهذا الاتصال وسائل بدائية في العصور الأولى ، ثم تطورت مع تطور المجتمعات ومرور الأزمان ، فاختار الإنسان الكلام والمناداة في الطرق ، ومن الجبال والتلال ، وعلى ظهر الدواب ، والنقش على الحجر والشجر ؛ وسائل أولية للاتصال والتفاهم والتعاون (٥٧) ، ثم ظهرت الكتابة ، وتلتها الطباعة ، إلى أن انتهى الأمر إلى ظهور مخترعات حديثة مثل الإذاعة والتلفاز والقمر الصناعي في القرن الماضي ، فحدث تطور هائل في ميدان وسائل الاتصال والإعلام وتحول العالم إلى قرية صغيرة كما شاع القول بين الإعلاميين والكتاب والقراء .

ومع ذلك فلا ننسى أن الوسائل القديمة والوسائل المتطورة تلتقي عند نقطة واحدة ، وهي التشابه في أصول الوظائف التي يؤديها كل من نوعي الوسائل ، إذ لا تخرج من نطاق الأخبار والإرشاد ، أو التعليم والتثقيف ، أو الترويح والإمتاع ؛ مع اختلاف في طبيعة كل وظيفة كما

(٥٧) راجع للتفصيل : الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية للدكتور محي الدين عبد الحليم : ص/١١ وما بعدها ، ومدخل إلى الإعلام للدكتور سيد محمد الساداتي : ص/٢٥ وما بعدها .

وكيف حسب حاجات المجتمعات (٥٨) .

أما تعريف وسائل الإعلام الاصطلاحي ، فنستطيع أن نقول : "بأنها الوسائل الشفهية والسمعية ، والسمعية البصرية ، والمقروءة التي تستخدم لبث رسالة إعلامية معينة ، فوسائل الإعلام تشمل كلا من الاتصال الفردي ، والخطبة ، والمحاضرة ، والندوة ، والمذياع ، والشريط المسموع (الكاسيت) ، والسينما (الخيالة) ، والتلفاز (الرائي) ، والمسرح ، والكتاب ، والصحيفة ، والمجلة" (٥٩) .

أهميتها :

تبلغ وسائل الإعلام من الأهمية بمكان بين العناصر الإعلامية ، إلى أن تباينت وجهات نظر خبراء الإعلام حول الوسيلة والرسالة ، فمنهم من قال بأن المضمون هو الأهم ، والوسائل لا تتعدى وظيفتها نقل هذا المضمون إلى الجمهور ؛ و منهم من قال بأن الوسيلة هي الرسالة ، ولكل من الفريقين دليله ومستنده ، ولكن لا ينكر أحد منهما أهمية الأمرين ؛ لذا يكون الأصوب أن نقول الإعلام هو البرامج والوسائل معاً (٦٠) .

وهذا الاختلاف إن دل على شئ فإنه يدل على ذلك الدور الهام الذي تقوم به وسائل الإعلام في العملية الإعلامية ، وذلك على عدة محاور:

أولاً : من حيث الذيوع والانتشار ، لما توجه الرسالة الإعلامية عادة إلى الجمهور ، ولا يتأتى ذلك إلا عن طريق وسائل الإعلام .

ثانياً : من حيث سرعة الوصول ، وتؤدي وسائل الإعلام الحديثة ؛

(٥٨) مدخل إلى الإعلام للدكتور سيد محمد الساداتي : ص/٢٦ ، و وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة لمحمد موفق الغلاييني : ص/٩٧ .

(٥٩) وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة لمحمد موفق الغلاييني : ص/٩٦ .

(٦٠) راجع : مدخل إلى الإعلام للدكتور سيد محمد الساداتي : ص/٥ .

مثل : الإذاعة والتلفاز ؛ هذه المهمة بكل جدارة ، وبسرعة مذهلة .

ثالثاً : من حيث التأثير والإقناع ، وإن كانت الرسالة لها الدور البارز في هذا المجال (٦١) .

وقد أجمع المختصون على أن لكل وسيلة من وسائل الإعلام مقدرة إقناعية ، تؤثر في فئة معينة من فئات المجتمع (٦٢) .

وبالجملة ، إذا كان الهدف الأساسي من الإعلام هو إقناع الجماهير، وتوسيع مداركهم لأن يسلكوا مسلكاً معيناً ، أو يتقبلوا رأياً أو فكرة ؛ تتعين وظيفة الوسائل في إيجاد هذا الإقناع بشكل أو آخر .

أقسامها :

وقد قام المشتغلون بالإعلام بتقسيم وسائله حسب نظرتهم إليها ، فتعددت التقسيمات منها ما يعتمد على تسلسل الوسائل التاريخي ، ومنها ما هو مبني على مقدرتها الإقناعية ، ومنها ما هو مصنف على أساس اعتمادها الحواس والعناصر (٦٣) .

وإني آثرت تصنيفها في ثلاثة أقسام رئيسة حسب قدمها وحداثتها دون مراعاة ترتيبها تاريخيا ، لما أود التركيز على الوسائل المكتشفة حديثا من ناحية صلاحها لخدمة الدعوة إلى الله ، كما سأتحدث عنها في الفصل القادم إن شاء الله فيمكن تصنيف أبرز الوسائل المستخدمة حاليا في الأقسام التالية :

---

(٦١) وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة لمحمد موفق الغلاييني : ص/٩٦ .

(٦٢) نفس المصدر: ص/١٠٣ ، والإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية للدكتور محي الدين عبد الحليم : ص/٣٧ ، ومدخل إلى الإعلام للدكتور سيد محمد الساداتي : ص/٢٩-٣٠ .

(٦٣) وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة لمحمد موفق الغلاييني : ص/١٠٧ ، والإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية للدكتور محي الدين عبد الحليم : ص/٣٦ .

أولها : الوسائل القديمة ، وهي الخطابة ، والرسالة والاتصال الفردي ، والكتب ، والدروس ، والمحاضرات ، والندوات .

ثانيها : الوسائل الحديثة نسبياً : وهي الصحف ، والمجلات ، والمسرح ، والإذاعة ، والسينما والتلفاز ، والشريط ، والفيديو .

ثالثها : الوسائل الأكثر حداثة : وهي التي اخترعت في السنوات القريبة ، ومنها البث الفضائي عن طريق الأقمار الصناعية ويسمى القنوات الفضائية ، والإنترنت (شبكة المعلومات العالمية) ، وأقراص الحاسب الآلي .

المبحث الثالث : وسائل الإعلام في خدمة الدعوة :

الدعوة عمل إعلامي :

من المعلوم أن الإعلام بأجهزته و وسائله ونظرياته وتقنياته ، لم يكن معروفاً وقت نزول الرسالة السماوية ، إلى نبينا محمد ﷺ ، ولكن الجهود التي قام بها ﷺ لنشر الرسالة وتبليغها ، مكلفاً من الله تعالى حيث قال: "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس" (٦٤) ، كان عملاً إعلامياً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ، وذلك أن الدعوة إلى الله عمل يخاطب العقل ، ويستند إلى المنطق والبرهان ، ويستهدف الكشف عن الحقيقة للوصول إلى الحق ، و لو نظرنا إلى ما مر علينا من التعريف الاصطلاحي لكل من الدعوة وإعلام ، لوجدنا بينهما تطابقا ومماثلة ؛ إذ يرتكز معناهما على تزويد الناس بالحقائق الثابتة ، والمعلومات الصحيحة ، لينتهجوا منهجاً خاصاً ، ويتخذوا موقفاً معيناً ، سواء كان الأمر متعلقاً بعقيدة ، أو مشكلة ، أو سلوك (٦٥)، كما

---

(٦٤) سورة المائدة : الآية/٦٧ .

(٦٥) الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية للدكتور محي الدين عبد الحليم : ص/١٤٧-١٤٨، و وسائل الإعلام وأثرها على وحدة الأمة لمحمد موفق الغلاييني : ص/٤٤.

أن وظائف وسائل الإعلام الأساسية التي أشرنا إليها في المبحث الثاني من هذا الفصل ، هي نفس الوظائف التي تشمل عليها الدعوة إلى الله ؛ ألا وهي البشارة والنذارة ، والتوجيه والإرشاد ، قال الله تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ : ﴿ يا أيها النبي ! إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ﴾ (٦٦) .

يستخدم النبي الكريم ﷺ كافة الوسائل المشروعة لأداء مهمته :

وفعلا عاش النبي الكريم ﷺ حياته حافلة بالإعلام بالدعوة ، تحقيقاً للمهمة التي كلف بها ، مستغلاً جميع الوسائل المتوافرة آنذاك في المجتمع الجاهلي ، بعد تعديل مسارها وتطوير أهدافها ؛ ومضيفاً إليها تلك الوسائل الإعلامية الجديدة التي لم يكن للعرب عهد بها ، فالخطابة والشعر والأسواق والمواسم كانت منتشرة فيما بينهم بيد أنه كان يسيطر عليها أخلاق الجاهلية وقيمها ، فحولها النبي الكريم ﷺ لخدمة الأهداف الدعوية ، ولا تزال الخطب النبوية الخالدة التي كان مسك ختامها خطبة الوداع ، وخطب الخلفاء الراشدين والمسلمين الأولين ، مصدراً غزيراً ، ومعيناً ثرّاً لا ينضب للدعاة ، بما تحتوى على عظمة الفكرة ، وخلود المعنى ، وتطويع الكلمة لتبليغ الرسالة ، وبرز من الشعراء حسان بن ثابت ، وكعب بن زهير ، وعبد الله بن رواحة وغيرهم ؛ وهؤلآء جميعاً أسهموا بفاعلية ، للدفاع عن حياض الإسلام ، بما جادت به قرائحهم من نفائس الشعر (٦٧) ، وعرف من النبي الكريم ﷺ تردده على بيوت القبائل ومنازلهم ، في الأسواق التي كانت بمثابة مؤتمرات أو مآدب ، تعقد فيها الندوات ، ويتبارى فيها الشعراء والخطباء ؛ فيعرض عليهم الإسلام ويدعوهم إليه (٦٨) .

(٦٦) سورة الأحزاب : الآية/٤٦ .

(٦٧) راجع : العصر الإسلامي للدكتور شوقي ضيف : ص/٤٧ ، وما بعدها ؛ و ص/٦٨ وما بعدها ، ط/٧، دار المعارف بمصر.

(٦٨) راجع : نفس المصدر السابق : ص/١١٤ وما بعدها.

أما الوسائل الإعلامية الأخرى التي تفرد بها الإسلام ، ومارسه النبي الكريم ﷺ في عمله الدعوى ، مهتديا بالوحي الإلهي ، وذهنه الثاقب ، وفكره الوقاد ، وعقله الراجح ، هي القدوة الحسنة من جانب النبي الكريم ﷺ ، والاتصال الشخصي منه ، وكان عليه الاعتماد في بداية الرحلة الدعوية ، وكذلك المسجد ، وخطبة الجمعة ، والجهاد في سبيل الله ؛ وما إلى ذلك .

وكل من ينظر في كتب السيرة والتاريخ ، يجد أن النبي الكريم ﷺ أمضى حياته كلها في القيام بوظيفته الملقاة على عاتقة ، وهي الإعلام بالدعوة ، ولم يجد سبيلا إلى وسيلة من الوسائل رآها صالحة لدعوته ، إلا اختارها واستعملها لإيصالها إلى الناس (٦٩) .

المسلمون يقتدون بنبيهم ﷺ :

وحذا الصحابة والمسلمون حذو نبيهم ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، و استخدموا كل الوسائل الآنفة الذكر لنشر الرسالة ، في مشارق الأرض ومغاربها ، ولما انتشرت الكتابة صار العلماء والدعاة يكتبون الكتب وينسخونها ، ويدعون إلى الله بهذه الوسيلة ؛ إلى أن جاءت المطابع ، فجعلت الكتب والمجلات والصحف من أكثر أدوات الدعوة انتشارا وتأثيرا ، وعندما ظهر المذياع والتلفاز والشريط المرئي (الفيديو) في العصر الحديث ، استغل الدعاة هذه الوسائل في تسجيل الدروس ، والخطب ، والمجالس العلمية ، ونشرها في الدعوة إلى الله ؛ كما أحسنوا استخدام أقراص

(٦٩) انظر على سبيل المثال في السيرة النبوية لابن هشام ؛ والبداية والنهاية لابن كثير، وانظر : كذلك أضواء على الإعلام في صدر الإسلام للدكتور عجاج الخطيب : ص/٢٣ وما بعدها ، ط/٢ ، مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م ، والإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية للدكتور محي الدين عبد الحليم : ص/١٤٧ وما بعدها .

الكمبيوتر (CD.S) للبرامج الدينية ، والمكتبات الإسلامية ؛ بعد مـا أثبـت الكمبيوتر فاعليته ، وفرض نفسه على الساحة في زمنا الحاضر .

إمكانات الوسائل الحديثة ومسئولية الدعوة :

وشهدت السنوات الأخيرة من القرن الماضي قفزة هائلة في مجـال الإبداع التقني ، وكان من نتاجها ، إحـداث ثـورة في ابتكـار وسـائل الاتصالات والمعلومات ؛ وثم كان البث الفضائي والإنترنت آخر ما توصـل إليه العقل البشري من وسائل الاتصال ومصادر الحصول على المعلومـات ، ولهاتين الوسيلتين دور أساسي في تحقيق عولمة الإعلام التي تطمح إليها الدول الغربية بصفة عامة ، والولايات الأمريكية المتحدة بصفة خاصة ، لقدرهمـا الخارقة على تخطى الحدود السياسية والحواجز الجغرافية ، دون رقابة تمنع أو حظر ينفع (٧٠) .

وبما أن الدعوة إلى الله تتسم بالمرونة والحيوية ومواكبـة الظـروف العصرية ، لأنها دعوة إلى المنهج الإلهي الذي يتميز بملائمتـه لكـل زمـان ومكان ، فإن من الطبيعي أن تفيد الدعوة من كل الأسـاليب والوسـائل المستحدثة ، كما أنها تتيح لها فرصا عظيمة لمخاطبة عدد هائل من النـاس في وقت واحد ، وهم في مختلف أصقاع الأرض داخل بيوتهـم ؛ إلى جـانب الإفادة من مميزاتها وطاقاتها الكثيرة المتنوعة ، فلا ينبغـي الاقتصـار علـى الوسائل الإعلامية القديمة من خطبة ودرس ومحاضرة وندوة ، لأن الوقـوف عند وسائل معينة بحجة كون وسائل الدعوة توقيفية (٧١) ، مخالفة لطبيعـة

---

(٧٠) اقرأ : مقال الدكتور مالك بن إبراهيم الأحمد بعنوان : "عولمة الإعلام" المنشور في مجلة : "البيان" اللندنية في العدد ؛ رقم/١٤٨ .

(٧١) قاله الأستاذ عبد الكريم نرجس (راجع : بحث الدكتور عبد الله الزبير؛ بعنوان : "تطوير وسائل الدعوة المعاصرة" : ص/٤ ، والذي قدمه في ندوة : "مقتضيات الدعوة في ضوء المعطيات المعاصرة" المنعقدة في جامعة الشارقة .

هذا الدين ؛ كما أن الأصل في الوسائل الإباحة ، يجب اختيارها إذا ثبـت صلاحها ونفعها لتحقيق المقصود الشرعي ، وخلا من كل مانع يمنعـه مـن الإباحة (٧٢) ، وبالفعل قد اقتحم المخلصون المجدون من الدعاة هذا المجـال بنشاط كبير ، وجهودهم ملموسة ومشكورة ، ولكن لازالت قليلة ، نظـرا إلى ضخامة الإمكانيات المتاحة ، وشدة حاجة الناس إلى الدعوة .

ومن هنا سيكون محور حديثي الآن في الفصـل الآتي : الإنـترنت والبث الفضائي ، وكيفية اسـتخدامهما في الدعـوة إلى الله ، لحداثتـهما وكونهما أكثر الوسائل انتشارا وتأثيرا في المجال الإعلامي ، وغزوهمـا الآن كل البيوت والمجتمعات ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لا يتسـع المقام لاستعراض جميع الوسائل العصرية ، إذ يحتاج له كتاب مستقل لا بحث متواضع .

الفصل الثالث :

الإنترنت ؛ والبث الفضائي ؛ واستخدامهما للدعوة إلى الله :

أولا : الإنترنت .

المبحث الأول : معلومات أساسية ومهمة عن الإنترنت

ما هو الإنترنت ؟

Internet كلمة مختصرة من كلمتـين : Interconnected Network ، ومعناه : الشبكة المتصل بعضها ببعض .

فالإنترنت عبارة عن عدد كبير من الحاسبات الآليـة ، المـترابط بعضها مع بعضها الآخر ، مكونا شبكة ، تعرف بشبكة المعلومات العالمية .

وكثير من الدارسين أطلقوا مصطلح "المعلومات" علـى الإنـترنت

---

(٧٢) قاله الأستاذ عبد الكريم نرجس (راجع : بحث الدكتور عبد الله الزبير؛ بعنوان : "تطوير وسائل الدعوة المعاصرة" : ص/٤ ، والذي قدمه في ندوة : "مقتضيات الدعوة في ضوء المعطيات المعاصرة" المنعقدة في جامعة الشارقة .

تعريبا له (٧٣) .

كيف بدأ وتطور ؟

وقد كانت بداية الإنترنت لغرض عسكري ،وامتد إلى مجال الثقافة والتعليم ، ثم عرفتها التجارة ؛ حتى أصبح الآن في متناول الأفراد ، ويرجع تاريخ نشأته إلى عام ١٩٦٩ ، إذ قامت وكالة الأبحاث المتطورة ARPA في وزارة الدفاع الأمريكية بإقامة شبكة باسم ARPANET ، متوهمة وقوع كارثة نووية ، قضت على قنوات الاتصال بين مراكز الحاسب الحربية ؛ فتقوم هذه الشبكة مقامها لضمان بقاء الاتصالات الحربية بين الجنود الأمريكيين عن طريقها ، إذ لديها القدرة لتحمل الكوارث .

وفعلا نجحت الفكرة ، واستطاعت أربانت (ARPANET) أن تربط جامعات أمريكية بشبكة واحدة في عام ١٩٧٤م ؛ وكانت البداية الأولى لشبكة الإنترنت ، ولكن بقيت الخدمات مقتصرة على الجامعات الأمريكية والقطاعات الأكاديمية والبحثية ، إلى أن كانت بداية التسعينات ، فسمح للقطاعات التجارية بالدخول والمشاركة في الإنترنت ؛ مما كان له أكبر الأثر في شيوع الشبكة ونموها واستخدامها في الكثير من مجالات الحياة ، وفي نفس الوقت ارتبطت الشبكات الصغيرة المتناثرة في أمريكا وخارجها بالإنترنت ، وأخذ طابعا عالميا .

وفي منتصف التسعينات أصبحت هذه الشبكة العالمية للمعلومات تضم ما يزيد عن/٥٠٠٠ شبكة ، وزاد إقبال المستخدمين للاستفادة من خدماتها ، إلى أن صار عدد المشتركين في عام ١٩٩٨م على مستوى العالم

---

(٧٣) راجع : مقدمة بحث الدكتور بن عيسى باطاهر ؛ جامعة الشارقة ، بعنوان : "تعريب المعلوماتية وأهميته في الدعوة الإسلامية"، والذي قدمه في ندوة : "مقتضيات الدعوة وفق المعطيات المعاصرة" .

أكثر من خمسين مليون مشترك (٧٤) ، أما لآن ، فقد بلغ عددهم أكثر من/٢٠٠ مليون شخص (٧٥) .

من الذي يملك الشبكة : أما السؤال الذي يتبادر إلى الذهن بالنسبة لملكية هذه الشبكة ، فالجواب – وإن كان يدعو إلى الاستغراب – أنه لا تملكها أية جهة رسمية ؛ أو غير رسمية ؛ بل هي شبكة متكونة من شبكات كثيرة ، وحق استخدامها مشاع لجميع الناس عامة ، ولكنه هناك جمعيات غير ربحية لأعضاء متطوعين ؛ وتقوم هذه الجمعيات بالإشراف على الإنترنت والاهتمام به ، وتوفير الدعم الفني له ، ومنها جمعية الإنترنت ؛ وهي تشبه بالسلطة الإدارية في الإنترنت .

الدخول إليها : والدخول إلى شبكة الإنترنت لم يعد أمرا معقدا كما كان في الماضي ، فالذي له معرفة بسيطة بالحاسب ؛ يستطيع الدخول والإبحار في عالم الإنترنت ، إذا كان الحاسب حاصلا على الميزات التالية .

١– أن يكون ذا كفاءة عالية ، ومزودا بالموديم والخط لهاتفي ومحملا بنظام التشغيل "ويندوز" وبروتوكولات نقل ، وبرامج التصفح .

٢– موصولا بالشبكة عن طريق الشركات الموفرة للخدمة .

و في كل بلد من البلدان توجد شركة أو أكثر تقوم بتوزيع خدمات الإنترنت مقابل الاشتراكات ، وتملك هذا الحق في دولة الإمارات العربية مؤسسة الإمارات للاتصالات فقط .

وبعد ذلك يستطيع المستخدم إدخال اسمه المختار ، ورقمه السري للاتصال بالشبكة ؛ ليتصفح المواقع ، ويحصل على المعلومات التي يريدها ، وينجز الأعمال التي يرغب فيها (٧٦) .

---

(٧٤) من بحث الدكتور عبد العزيز شاكر الكبيسي ، جامعة الإمارات العربية المتحدة ، بعنوان : "أثر استخدام الإنترنت في الدعوة الإسلامية" ، والذي قدمه في ندوة : "مقتضيات الدعوة وفق المعطيات المعاصرة .

(٧٥) موقع : "الكمبيوتر والإنترنت" عن طريق : www.raddadi.com

(٧٦) للتوسع في المعلومات الواردة في هذا المبحث ، راجع : بحث الدكتور عبد الحق حميش : >>

المبحث الثاني : أهم أغراض الإنترنت وخدماته :

يتميز الإنترنت بأنه استطاع أن يجمع تحت رايته جميع أنواع وسائل الإعلام والاتصال ، فاتسعت دائرة خدماته وتشعبت وتنوعت ، وشملت كافة مجالات الحياة الإنسانية وأعمالها و نشاطاها المختلفة ، وفيما يلي عرض موجز لأهم الأغراض والخدمات :

١- تصفح المواقع عن طريق كتابة العنوان ، إذا كان معروفا أو عن طريق محركات البحث الموجودة على الشبكة ، بغية الوصول إلى المعلومات أو الخدمات ، علما بأن عدد المواقع كان قد بلغ إلى أكثر من/١٠ مليون موقع لغاية عام ١٩٩٩م .

٢- البريد الإلكتروني : وهو من أعظم الخدمات التي تقوم بها شبكة الإنترنت للمجتمع الدولي ، إذ يمكن عن طريقه إرسال الرسائل سواء كانت نصية أو متضمنة الصوت أو الصورة في ، دقائق أو ثوان معدودة إلى أي حاسب في العالم وفي أي وقت .

٣- مجموعات النقاش News Groups : كل مجموعة من هذه المجموعات تضم الأشخاص ذوي الاهتمامات المشتركة الذين يناقشون حول موضوع معين ، ويتبادلون الآراء فيما بينهم فكل واحد يتكلم ، ويبدي رأيه بكل حرية ، ويكتب ما يريد فيما يخص الموضوع .

٤- الحوار (Chat) : يوجد في المواقع غرف للحوار وهو من أهم وسائل الاتصال الشخصي في شبكة الإنترنت ، فيجري الحوار عن طريق كتابة النص في الشاشة بين شخصين أو أكثر ، ويكون محور الكلام موضوعا معينا ، أو كيفما يحلو لهم ؛ كأنهم جلسوا في غرفة أو مكان ، يتجاذبون فيه أطراف الحديث ، وكما تتم المحادثة عن طريق الكتابة ، يمكن أن تكون

>> ص/١٤ وما بعدها ، وبحث الدكتور عبد العزيز الكبيسي : ص/١ وما بعدها ، و قد سبقت الإشارة إلى البحثين ، و كذلك موقع : "الكمبيوتر والإنترنت" ، السابق الذكر .

بالصوت بين شخصين عبر الجهاز مثل الهاتف ، وبهذه الوسيلة يمكن التعارف مع الناس على مستوى العالم وتبادل الآراء والأفكار ، ومعرفة أحوال الشعوب وقيمهم ، وعاداتهم وتقاليدهم .

٥- متابعة الصحف والمجلات ، والاطلاع على آخر الأخبار في مواقع عديدة من وكالات الأنباء والمؤسسات الأخبارية .

٦- العثور على الكتب والموسوعات ، وزيارة المكتبات ، والاتصال ببنوك المعلومات .

٧- الاتصال بالخبراء والمتخصصين في جميع المجالات ، وتلقي نصائحهم والاستفادة من خبراتهم .

٨- ممارسة عملية البيع والشراء عن طريق الشبكة ، والقيام بالنشاطات التجارية الأخرى ، ومعرفة ما يتعلق بها من أسعار الأسهم والسوق والبنوك وما إلى ذلك .

٩- الإعلانات بمختلف أنواعها ، وتستخدم لها الشبكة على نطاق واسع .

١٠- الترويج لمختلف الأفكار السياسية والفكرية والدينية والدعوة إليها .

١١- التعليم عن بعد : ويصفه رجال التربية الغربيون بأنه نظام مستقبل ، إذ يوفر الإنترنت جميع المعلومات التي يتطلبها الطالب في مراحله الدراسية ، فيحصل عليها وهو في بيته .

١٢- الترفيه والتسلية واللعب : وفي هذا الباب يجد كل صاحب هواية ضالته في الشبكة ؛ ولكن أخطر أنواع التسلية التي تشكل مصيبة كبرى على أخلاق الشباب ، هي المواقع الإباحية التي تستهدف إشاعة الرذيلة والانحراف الخلقي ، دون وسائل فعالة ومجدية تحول دون ظهور هذه المنافذ الخبيثة .

* * *

نظرة عابرة على القضاء
و القضاة في الإسلام

[١]

بقلم : الأستاذ محمد أسجد القاسمي الندوي
(محاضر بجامعة دار العلوم الإسلامية ، بستي – الهند)

القضاء لغة وشرعا :

القضاء لغة : الفصل والقطع والحكم بين الناس ، والقاضي هو الحاكم ، أما شرعا واصطلاحا ؛ فمعناه : فصل الخصومات وقطع المنازعات (١) ، وقيل : هو الحكم بين الناس بالحق ؛ والحكم بما أنزل الله عزوجل (٢) .

القضاء في ضوء القرآن الكريم :

إن القضاء فريضة محكمة ؛ وسنة متبعة شرعا ، وهو من فروض الكفايات إجماعا (٣) ، وقال البعض : "القضاء أمر من أمور الدين ، ومصلحة من مصالح المسلمين ، تجب العناية به ، لأن بالناس إليه حاجة عظيمة (٤) .

والقرآن الكريم يصرح بلزوم النظام القضائي العادل ؛ وأهميته البالغة ، فقال الله مخاطبا وآمرا رسوله : ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله إليك * ولا تتبع أهواءهم ﴾ (٥) ، ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق * لتحكم بين الناس * بما أراك الله * ولا تكن للخائنين خصيما ﴾ (٦) ، وقال تعالى وهو يأمر نبيه ﷺ بالحكم فيما شجر بين الناس : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق * مصدقا لما بين يديه من الكتاب * ومهيمنا عليه * فاحكم بينهم بما أنزل الله * ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ﴾ (٧) ، ويأمر القرآن الكريم جميع المسلمين أن يلتزموا بإطاعة ربهم ؛ ورسولهم ؛ وأولي

الأمر منهم ، ولا ينحرفوا عنها قيد شعرة مهما تغيرت الأوضاع ، ويردوا سائر خلافاتهم إلى ربهم ؛ و رسولهم ، ثم يقتنعوا و يخضعوا لقضاء الله ورسوله ، فيقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ! أطيعوا الله وأطيعوا الرسول * وأولى الأمر منكم * فإن تنازعتم في شئ * فردّوه إلى الله والرسول * إن كنتم تؤمنون بالله * واليوم الآخر * ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ (٨) ، وأوجب القرآن على المؤمنين وجعل كمال إيمانهم متوقفاً ومبنياً على أن يوكلوا قضاياهم وخلافاتهم إلى الرسول الكريم ﷺ ويحكّموه ، ثم ينقادوا لقضائه وحكمه بطيب أنفسهم ، فقال : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون * حتى يحكموك فيما شجر بينهم * ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت * ويسلّموا تسليماً ﴾ (٩) ، وقال : ﴿ إنما كان قول المؤمنين : إذا دُعوا إلى الله ورسوله * ليحكم بينهم * أن يقولوا سمعنا وأطعنا * وأولئك هم المفلحون ﴾ (١٠) ، ويصرّح القرآن الكريم بأن الحكم وفق ما أنزل الله لمن دأب الأنبياء ؛ والعلماء ؛ والربانيين ؛ وشعارهم وميزتهم الممتازة ، فيقول : ﴿ إنّا أنزلنا التوراة فيها هدىً ونور * يحكم بها النبيون * الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون * والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله * وكانوا عليه شهداء * فلا تخشوا الناس واخشون ﴾ (١١) ، وقال الله آمراً سيدنا داؤد عليه السلام : ﴿ يا داؤد ! إنا جعلناك خليفة في الأرض * فاحكم بين الناس بالحق * ولا تتبع الهوى * فيضلك عن سبيل الله * إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد * بما نسوا يوم الحساب ﴾ (١٢) .

أما عدم الحكم بما أنزل الله والحكم بغير ما أنزل الله ، فهو جريمة لا تُغفر ، ويعبر عنه القرآن بالكفر ؛ والظلم ؛ والفسق ؛ كما قال : ﴿ و مَنْ لم يحكم بما أنزل الله * فأولئك هم الكافرون ﴾ (١٣) ، ﴿ ومَن لم يحكم بما أنزل الله * فأولئك هم الظالمون ﴾ (١٤) ، ﴿ ومَن لم يحكم بما أنزل الله * فأولئك هم الفاسقون ﴾ (١٥) ، لأن الحكم بغير ما أنزل الله كالإباء

والرفض لما أنزل الله ، وهو يناقض العدل ، وهو خروج عن حيز الطاعة و العبدية ، فالذي يقضي ويحكم بغير ما أنزل الله ، وهو يرى حكم الله غلطاً فاسداً ، وحكمه صحيحاً مستقيماً ، فقد وقع في ورطة الكفر ؛ والظلم ؛ والفسق معاً ، أما الذي يقضي بغير ما أنزل الله مع الاعتقاد بصحة حكم الله وسداده ؛ فهو مؤمن ، ولكنه خلط إيمانه بالظلم والفسق معاً ، والقرآن العظيم يذم الذين يرفضون ؛ ويعرضون عن قضاء الله ورسوله أشد الذم قائلاً : ﴿ وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم * إذا فريق منهم معرضون ﴾ (١٦) ، ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك * وما أنزل من قبلك * يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت * وقد أمروا أن يكفروا به * ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ﴾ (١٧) .

وهناك عشرات من آيات القرآن الكريم تدل على أهمية القضاء بالحق ؛ و وجوب الحكم بالشرع الإسلامي المتين بدون أدنى انحراف ، وتغيير فيه .

القضاء في ضوء الأحاديث النبوية :

من الحقائق البارزة أن القضاء لمن أكبر وسائل تطبيق أوامر الله ورسوله ، وقد جعل الرسول الحبيب ﷺ إطاعة الأمير إطاعته ، ومعصية الأمير معصيته ، فقال ﷺ : "من أطاعني فقد أطاع الله ؛ ومن عصاني فقد عصا الله ، ومن أطاع أميري ؛ فقد أطاعني ، ومن عصى أميري ؛ فقد عصاني" (١٨) ، وأمر سائر المسلمين بالسمع والطاعة في المنشط والمكره ، "السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية ؛ فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة" (١٩) ، وقال ﷺ عن القضاة : "القضاة ثلاثة" : واحد في الجنة ، واثنان في النار ، فأما الذي في الجنة ؛ فرجل عرف الحق فقضى به ، ورجل عرف الحق فجار في الحكم ؛ فهو في النار ، ورجل قضى للناس على جهل ؛ فهو في النار (٢٠) ، وقال ﷺ عن القاضي

المخطئ والمصيب : "إذا حكم الحاكم فاجتهد ؛ فأصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ؛ فأخطأ فله أجر" (٢١) ، وقال ﷺ : "إذا جلس الحاكم للحكم بعث الله له ملكين يسدّدانه ويوفقانه ، فإن عدل أقاما ، وإن جار عرجا وتركاه " (٢٢) ، وقال ﷺ : "لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً ؛ فسلّطه على هلكته في الحق ، وآخر آتاه الله حكمة ؛ فهو يقضي بها ويعلّمها" (٢٣) .

وقام رسول الله ﷺ بعملية القضاء بنفسه في مآت من القضايا ، وقد جمع الإمام الحافظ ابن قيم الجوزية رحمه الله جميع أقضية الرسول الكريم ﷺ في الجزء الثالث والرابع من كتابه : "زاد المعاد" ، وعلاوة على ذلك ألقى الرسول الأعظم ﷺ على عواتق العديد من أصحابه مسئولية القضاء في مختلف الأنحاء والأزمان ، فبعث سيدنا عليا إلى اليمن قاضياً ، وعين عتاب بن أسيد والياً وقاضياً على مكة بعد الفتح ، وقلد دحية الكلبي قضاء ناحية اليمن ، وبعث معاذ بن جبل إلى اليمن ، فقال : "كيف تقضي إذا عرض لك قضاء ؟ ، قال : أقضي بكتاب الله ، قال : فإن لم تجد في كتاب الله ؟ قال : فبسنة رسول الله ﷺ ، قال : فإن لم تجد في سنة رسول الله ﷺ ولا في كتاب الله ؟ قال : أجتهد برأيي ولا آلو ، فضرب رسول الله ﷺ صدره ، وقال : الحمد لله الذي وفّق رسولَ رسولِ الله لِمَا يُرضى رسولَ الله" (٢٤) .

ثم لم يزل الخلفاء الراشدون والخلفاء بعدهم يقومون بعمليات القضاء بأنفسهم ، وبتعيين القضاة في المناطق المختلفة ، كما عين سيدنا أبو بكر أنساً قاضياً في البحرين ، وسيدنا عمر أبا موسى الأشعري قاضياً في البصرة ، وعبد الله بن مسعود قاضياً في الكوفة ، وسيدنا عثمان شريحاً قاضياً في الكوفة ، وسيدنا على عبد الله بن عباس قاضياً في البصرة (٢٥) رضي الله عنهم .

القضاء في ضوء الإجماع :

التزام الخلفاء الراشدين وغيرهم من أصحاب الرسول الكريم ﷺ بالقضاء واهتمامهم بتنظيمه ، وتعيين القضاة يدل على انعقاد الإجماع العملي على ذلك ؛ كما قال الماوردي : "فصار ذلك من فعلهم إجماعا" (٢٦)، ولذا جعل سيدنا عمر رضي الله عنه القضاء سنة متبعة في رسالته إلى سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

القضاء في ضوء العقل :

أما العقل ؛ فهو يوافق على إقامة النظام القضائي العادل مأة في المأة ، لأن القضاء من الحاجات الفطرية للإنسان ، وهو يقوم بإعطاء ذوي الحقوق حقوقهم ، وإقامة العدل والنصفة في المجتمع ، والأخذ على يد الظالمين ، وإعانة المظلومين ، وقطع النزاعات والخصومات ، وبث الأمن والهدوء في الحياة ، وهو ما يدعو إليه عقل كل عاقل ، وهو يندرج في إطار الأمر بالمعروف ؛ والنهي عن المنكر ، وهذا ما لا يأباه العقل والفهم ، ولا يرفضه المنطق والقياس أبدا ، وقد كتب العلامة الكاساني رحمه الله : "ولمساس الحاجة إليه لتقيد الأحكام ؛ وإنصاف المظلوم من الظالم ؛ وقطع المنازعات التي هي مادة الفساد ؛ وغير ذلك من المصالح التي لا تقوم إلا بإمام لما علم في أصول الكلام ، ومعلوم أنه لا يمكنه القيام بما نصب له بنفسه ؛ فيحتاج إلى نائب يقوم مقامه في ذلك ؛ وهو القاضي"(٢٧) .

فاتضح من ذلك كله أن القضاء أمر لازم لكل دولة ، وفريضة محكمة تقوم بتنفيذ شرع الخالق على خلقه ، فلا يحتمل الانتساخ ؛ ولا يمكن استغناء المجتمع الإسلامي عنه في أي صورة ، ولذا تعود على الأمة المسلمة مسئولية نصب الأمير ؛ وتعيين القضاة ، قال ابن مسعود رضي الله عنه : "لأن أجلس قاضيا بين اثنين أحب إلى من عبادة سبعين سنة" (٢٨) .

الشروط المطلوبة للقضاة :

وهناك عدة شروط لازمة للقائمين بأعمال القضاء نظرا إلى مكانة القضاء في الشرع الإسلامي ، ومنها ما قد أجمع عليه الفقهاء كلهم ، ومنها ما نجد فيه بعض الخلافات بينهم ، أما الشروط المطلوبة للقضاة ؛ فهي كما يلي :

١- الإسلام ٢-البلوغ ٣- العقل ٤- الحرية ٥- سلامة السمع والبصر والنطق ٦- الذكورة ٧- العدالة ٨- الاجتهاد .

ونقدم إلى القراء الأكارم شيئا من التفصيل بصدد هذه الشروط ؛ لكي يتضح الأمر تماما .

الشرط الأول : الإسلام :

أجمع الفقهاء كلهم على أن يكون القاضي مؤمنا بالله مسلما ، فلا يجوز تقليد الكافر القضاء أبدا (٢٩) ، وهناك دلائل قوية تصرح بذلك ، نذكر بعضا منها .

١- قال الله تعالى : ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾ (٣٠) ، ولا سبيل أكبر من القضاء ، فلا يجوز ولاية غير المسلم وقضاؤه على المسلم .

٢- قال ﷺ : "الإسلام يعلو ولا يعلى" (٣١) ، وفي تقليد غير المسلم منصب القضاء مخالفة هذا الحديث لأن القاضي يحمل الولاية على الآخرين ، فلا يجوز إحالة منصب القضاء إلى غير المسلم .

٣- يجب في باب الشهادة أن يكون الشهود مسلمين ، والقضاء أهم و أدق بالنسبة إلى الشهادة ، فيجب بالأولى أن يكون القضاة مسلمين (٣٢) .

٤- القضاء في الإسلام يهدف إلى حل النزاعات ؛ وفصل الخصومات ؛ وقطع الخلافات ؛ وإعطاء ذوى الحقوق حقوقهم ؛ وإعانة

المظلومين ؛ وإغاثة الملهوفين وغير ذلك ، وهذا لا يتأتى إلا بـالعثور على الأحكام الشرعية والخضوع لها ، والكافر لا يكون خبيرا بالأحكام الشرعية ؛ بل يكون منكرا للشريعة الإسلامية ، فكيف يكون من الممكن والسديد أن يحال منصب القضاء إلى رجل منكر لأحكام الله القدير ؛ جاهل لأحكام الشرع الإسلامي المتين .

٥– الفاسق المسلم لا يكون أهلا للقضاء عند الأكثر ، وإن كان أهلا عند البعض ، كما سيأتي ذكره ، فالكافر أولى بـأن لا يكـون أهـلا للقضاء (٣٣) .

أما تقليد غير المسلم القضاء بين أهل دينه في البلاد الإسلامية ؛ فقد أجازه الإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله لا غير ، وتمسك الإمام الأعظم بقوله تعالى : ﴿ لا تتخذوا اليهـود والنصارى أوليـاء * بعضهم أوليـاء بعض ﴾ (٣٤) ، وعلاقة الصداقة والولاية فيما بينهم أمارة علـى جواز تقليد أحد منهم القضاء عليهم (٣٥) ، والعقل يؤيد ذلك ، فإنهم عـدول فيما بينهم ، وتقبل شهادات بعضهم على بعض فيما بينهم ، وهـم أهـل للشهادات فيما بينهم فيكونون أهلا للقضاء أيضا ، ويؤيده العرف الجاري بتقليد غير المسلمين القضاء والولاية عليهم ، أما الأحكام الشرعية المنوطة بهم وبقضاياهم ؛ فلا يصعب عليهم العثور عليها .

الشرط الثاني البلوغ :

لا يجوز للصبي غير البالغ أن يولى منصب القضاء إجماعا ، فلو قلد القضاء كانت ولايته باطلة ؛ وأحكامه مردودة ، ودلائله فيما يلي :

١– لأن رسول الله ﷺ قال : "رفع القلم عن ثلاثة عـن النـائم ؛ حتى يستيقظ ، وعن المبتلى ؛ حتى يبرأ ، وعن الصبي ؛ حـتى يكـبر ، وفي رواية : حتى يحتلم ، وفي أخرى : حتى يبلغ ، وفي الثالثة : حتى يعقـل" (٣٦) ، فاتضح أن الصبي بريئ عن التكاليف الشرعية ؛ والمسئوليات الشرعية ، ولا

يقدر الصبي على تحمل المسئوليات والتكاليف ، ومنصب القضاء أكبر وأهم مسئولية لا يسع تحملها الصبيان ؛ حتى يبلغوا ؛ ويحتلموا ؛ ويعقلوا .

٢– وقد ورد في بعض الأحاديث أن الرسـول الكـريم ﷺ أمر بالتعوذ بالله من إمارة الصبيان (٣٧) .

ومعلوم أن التعوذ لا يكون إلا في السيئات والمنكرات ، فهذا خير دليل على عدم جواز إمارة الصبيان ، و ولايتهم وقضائهم .

٣– لا تقبل شهادة الصبيان ؛ ولا يجوز للقاضي أن يقضي في قضية ما على أساس شهادتهم ، فلا يستأهلون لمنصـب القضـاء بـالأولى ، لأن منصب القضاء أهم وأدق بالنسبة إلى منصب الشهادة .

٤– ليس في وسع الصبيان أن يتصرفوا في أي قضية من قضاياهم الشخصية ؛ فكيف يمكن لهم التصرف في قضايا الآخرين ؟ لأنـه لا تنفـذ أقوالهم في أنفسهم ؛ فلأن لا تنفذ في غيرهم بطريق الأولى (٣٨) .

الشرط الثالث : العقل :

يجب أن يكون القاضي عاقلا بالإجماع ، فلا يجوز تقليد المجنون غير العاقل ؛ ومختل الحواس منصب القضاء ، قال الماوردي : "ولا يكتفي فيـه بالعقل الذي يتعلق به التكليف من علمه بالمدركات الضرورية ، حتى يكـون صحيح التمييز ، وجيد الفطنة ، بعيدا عن السهو والغفلة ، يتوصل بذكائـه إلى إيضاح ما أشكل و فصل ما أعضل" (٣٩) ، و تكون ولايـة المجنـون باطلة ؛ وأحكامه مردودة ، ولو قلد الرجل وهو سليم العقل ؛ ثم طرء عليـه الجنون بطلت ولايته (٤٠) ، وفيما يلي بعض الدلائل المؤيدة لهذا الشرط :

١– عـن علي ﷺ أن رسول الله ﷺ ؛ قال : "رفع القلـم عـن ثلاثـة ، عن النائم ؛ حتى يستيقظ ، و عن الصبي ؛ حتى يحتلـم ، و عـن المجنون ؛ حتى يعقل" (٤١) .

٢– المجانين لا يسعهم التصرف في قضاياهم الشخصية ، ولا تنفـذ

أقوالهم في أنفسهم ؛ فلا تنفذ في غيرهم بالأولى .

٣- العقل شريطة لازمة في سائر العبادات المفروضة ؛ والعقود والمعاملات المباحة ، ومعلوم أن القضاء منصب يحمل خطورة ؛ وأهمية كبرى ، فلا يستأهل له إلا من كان سليم العقل ، ممتازا بالفطنة الكاملة ؛ والتمييز بين الخطأ والصحيح ؛ وجمع جميع كفاءات الفهم والإدراك ، لائقا بحل المعضلات والعويصات المعقدة مستمدا من عقله وفهمه ، غير مختل الحواس ، بريئا عن الغفلة والنسيان وغير ذلك .

الشرط الرابع : الحرية :

نتوصل بالتفحص في كتب الفقهاء إلى مذهبين بصدد شرط الحرية في القاضي ، فجماهير فقهاء الإسلام يرون الحرية شرطا لازما للقاضي ، ولا يحل عندهم تقليد العبد منصب الفقهاء ، مادام عبدا ، أما بعض الفقهاء ؛ مثل : القاضي شريح بن الحارث الكندي (م/٧٨هـ) ، والإمام محمد ابن سيرين الأنصاري (م/١١٠هـ) ، والإمام ابن حزم الأندلسي الظاهري (م/٤٥٦هـ) ، فهم لا يرون الحرية شرطا لازما للقاضي ، ويجوز لديهم تقليد العبد منصب القضاء ، ويؤيد هذا القول بعض الحنابلة بشرط أن يكون العبد مأذونا لتقليد القضاء من سيده ومولاه (٤٢) .

جماهير فقهاء الإسلام يستدلون بأن القضاء من أنواع الولاية ، والعبد لا يحمل الولاية على نفسه ، لأنه يكون محبوسا لخدمة سيده ، ولا يسع له أي تصرف في قضاياه الشخصية ، ولا ينال الحرية في استخدام أوقاته ، فكيف يكون أهلا للتصرف في قضايا الآخرين ؟ وليس هو بأهل للشهادة التي هي دون القضاء ، فلا يكون أهلا للقضاء .

أما بعض الفقهاء الأخر فهم يرون العبد أهلا للقضاء ، وهم يستدلون بعموم الآية الكريمة : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها * وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ (٤٣) ، وعدم

خصوصها بالحر دون العبد ، كما يقدمون في تأييد رأيهم حديث سيدنا عقبة بن عامر ﷺ ؛ قال : "تزوجت امرأة فجاءتنا امرأة سوداء ، فقالت: أرضعتكما ، فأتيت النبي الكريم ﷺ ، فقلت : تزوجت فلانة بنت فلانة ؛ فجاءتنا امرأة سوداء ، وفي رواية : أمة سوداء ، فقالت لي : إني قد أرضعتكما ؛ وهي كاذبة ، فأعرض عني ؛ فأتيته من قبل وجهه ، قلت : إنها كاذبة ، قال : كيف بها ، وقد زعمت أنها قد أرضعتكما ؟ دعها عنك" (٤٤) ، فالرسول جعل شهادة الأمة السوداء موضع الثقة والقبول ، وأمر عقبة بالاعتزال عن زوجته ، وهذا خير دليل على جواز تقليد العبد منصب القضاء ، وهم يستدلون بحديث ابن عمر ﷺ أيضا ؛ قال : "كان سالم مولى أبي حذيفة يؤم المهاجرين الأولين ، وأصحاب النبي الكريم ﷺ في مسجد قباء ؛ فيهم : أبو بكر؛ وعمر؛ وأبو سلمة ؛ وزيد ؛ وعامر بن ربيعة" (٤٥) ، فجواز إمامة العبد في الصلوات يدل على جواز توليه منصب القضاء .

ولكن يحدث هناك سؤال وهو أن سيدنا سالما أم الناس حينما كان معتقا من قبل سيده ، وجماهير الفقهاء يرون بجواز تولي العبد العتيق منصب القضاء .

نعم : يمكن ترجيح قول بعض الفقهاء الحنابلة بأن العبد يتولى منصب القضاء حينما أذن له سيده بطيب نفسه ، ولابد أن يراعى فيه بعض الأمور وهو أن يكون أفضل في فهمه و ورعه وتقواه من الأحرار ، أما إذا كان الأحرار أفاضل منه علما وفهما و ورعا فلا يصح تقليد العبد منصب القضاء ، والله اعلم

[يتبع]

---

(١) الدر المختار : ٣٠٩/٤ ، والبحر الرائق : ٢٧٦/٦ .

(٢) بدائع الصنائع : ٤٣٨/٥ .

(٣) الفقه الإسلامي وأدلته -للزحيلي : ٧٣٩/٦ .

(٤) اللباب شرح الكتاب للميداني : ٧٧/٤ .

(٥) سورة المائدة : الآية/٤٩ .

(٦) سورة النساء : الآية/١٠٥ .

(٧) سورة المائدة : الآية/٤٨ .

(٨) سورة النساء : الآية/٤٩ .

(٩) سورة النساء : الآية/٦٥ .

(١٠) سورة النور : الآية/٥١ .

(١١) سورة المائدة : الآية/٤٤ .

(١٢) سورة ص : الآية/٢٦ .

(١٣) سورة المائدة : الآية/٤٤ .

(١٤) سورة المائدة : الآية/٤٥ .

(١٥) سورة المائدة : الآية/٤٧ .

(١٦) سورة النور : الآية/٤٨ .

(١٧) سورة النساء : الآية/٦٠ .

(١٨) صحيح البخاري : كتاب الأحكام : رقم الحديث/٧١٣٧ .

(١٩) مشكاة المصابيح : كتاب الامارة والقضاء : ٣١٩/٢ .

(٢٠) سنن أبي داؤد : كتاب الأقضية : رقم الحديث/٣٥٧٣ .

(٢١) أيضا : رقم الحديث/٣٥٧٤ .

(٢٢) نيل الأوطار للشوكاني : ٢٦٢/٨ .بالإشارة إلى البيهقي .

(٢٣) صحيح البخاري : كتاب الأحكام : رقم الحديث/٧١٤١ .

(٢٤) سنن أبي داؤد : كتاب الأقضية : رقم الحديث/٣٥٩٢ .

(٢٥) نظام القضاء الإسلامي للقاضي مجاهد الإسلام القاسمي : ص/١٧١ .

(٢٦) أدب القاضي للماوردي : ١٣٥/١٠ .

(٢٧) بدائع الصنائع : ٤٣٨/٥ .

(٢٨) الفقه الإسلامي وأدلته : ٧٤٠/٦ .

(٢٩) انظر : بدائع الصنائع : ٤٣٨/٥ ، والفقه الإسلامي وأدلتـه : ٧٤٣/٦ ، والمحلى لابن حزم : ٤٢٧/٨ .

(٣٠) سورة النساء : الآية/١٤١ .

(٣١) فتح الباري مع البخاري : ٢١٥/٣ .

(٣٢) انظر : المجموع شرح المهذب للنووي : ١١٤/١٩ .

(٣٣) أدب القاضي : ٦٤٣/١ .

(٣٤) سورة المائدة : الآية/٥١ .

(٣٥) حاشية رد المحتار لابن عابدين : ٣٥٥/٥ .

(٣٦) سنن الإمام أبي داؤد : كتاب الحدود : رقم الحديث/٤٣٩٨ .

(٣٧) انظر : مسند الإمام أحمد : ٤٤٨،٣٥٥،٣٣٦/٤ .

(٣٨) انظر : المبدع في شرح المقنع لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الحنبلي : ١٩/١٠ .

(٣٩) الفقه الإسلامي وأدلته : ٧٤٤/٦ .

(٤٠) أدب القاضي : ٦٢١،٦١٩/١ .

(٤١) سنن أبي داؤد : رقم الحديث/٤٤٠٣ .

(٤٢) انظر : فتح الباري لابن حجر العسقلاني : ٢٦٧/٥ ، والمبدع في شرح المقنع : ١٩/١٠ .

(٤٣) سورة النساء : الآية/٥٨ .

(٤٤) صحيح البخاري : كتاب النكاح : رقم الحديث/٥١٠٤ .

(٤٥) أيضا : كتاب الأحكام : رقم الحديث/٧١٧٥ .

دلالة الألفاظ و تطورها

بقلم : الدكتور محمد السيد علي بلاسي
(أكاديمي - خبير دولي - عضو اتحاد الكتاب)

لا شك أن اللغة هي رمز التعبير و وسيلته ، وهي الأداة التي تنقل الأفكار ، وتترجم عنها ، ولا ريب أن تلك الأفكار تنتقل إلى طالبها في قوالب خاصة هي الألفاظ ، و هذه الألفاظ يختارها كل مجتمع حسب حاجاته ؛ وأحواله الاجتماعية ، فأرباب الصحراء يميلون إلى وعورة اللفظ وخشونته ، وأرباب المدينة تحمل ألفاظهم سمات مدنيتهم وحضارهم ، من رقة وعذوبة .

و لا ريب أن المعاني التي تحملها هذه الألفاظ تمر عليها – منذ نشأها – مراحل تاريخية كما هو الحال الآن ، فاللغات البشرية قد قطعت مراحل طويلة الأمد ، وتقلبت عليها أجيال متعاقبة منذ أقدم العصور ، وكل جيل له سمات قد ورث بعضها عن أجداده أو أخذه ممن يخالطهم ؛ وابتكر بعضها الآخر ، تبعا لمقتضيات حياته ، و بيئته ، و الأحداث التي مر بها ، اجتماعية ، ونفسية ...

ولا ريب – كذلك – أن الألفاظ تمر في تلك المراحل ، وتتلقفها الأجيال ، بما تحمله من معان قد تبقي ، وقد تتغير ، وقد تنحرف ، حسب عادات وأسباب لا يمكن التنبؤ بها جميعها ، ولكن يمكن من دراسة الألفاظ نفسها الوقوف على بعضها ، كما أن المعنى نفسه قد يتغير مفهومه لدى الأجيال من الشرف إلى الضعة ، و بالعكس ، كذلك أصوات الألفاظ عرضة لهذا التغيير .

ولكل لغة قواعدها المنتظمة ، وأساليبها المعنية التي تتبعها في سيرها

عبر التاريخ ، غير أن الأيام تؤثر فيها ، وتدخل بعض التغيرات عليها .

وبناء على ذلك ؛ فلا نظن أن المعاجم – وحدها – في أية لغة مهما كانت متقدمة ومنظمة هي التي تعبر عن دلالة الألفاظ في اللغات بحيث لا تحتاج بعدها إلى دراسة ؛ ذلك لأن الدلالة تخضع لمؤثرات كثيرات ، وعوامل متعددة اجتماعية ونفسية ، وتطورية ، وتاريخية ، والمعجم إنما يصف اللغة في مرحلة معينة ، ودون تفسير للدلالات التي ينطوي عليها من النواحي المذكورة ، أما علم الدلالة (السيمانتيك) ؛ فهو الذي يدخل العوامل التي أشرنا إليها في الاعتبار ، فيدرس النص اللغوي أو الكلمة ملاحظا المتكلم والسامع ؛ والظروف السياسية ؛ والاجتماعية ؛ والتاريخية التي مرت عليهما ..

ولأهمية هذا الفرع ، وتشعب بحوثه ، ولج بابه علماء كثيرون من الفلاسفة و اللغويين ، و علماء النفس ؛ و الأنثربولوجيا ، و الأدباء ، والفنانين ، والاقتصاديين ، وعلماء الدراسات الطبيعية .

وقد ظهر اسم هذا العلم Semantique في مقال كتبه ميشيل بريال سنة/١٨٨٣م ، ويعد هذا العالم الفرنسي من أوائل الواضعين لعلم الدلالة على أساس تاريخي لا وصفي .

وعلم الدلالة التاريخي تغير المعنى – وما يتصل به – من عصر إلى عصر ، أما الوصفي ؛ فيدرس ذلك في مرحلة معينة من مراحل اللغة .

و عني بالبحث فيه – كذلك – من الغربيين كثيرون ، منهم الأساتذة : وتني الإنجليزي وكروس الإيطالي ، وفونت الألماني (١) .

هذا ؛ وقد اهتم علماؤنا العرب – قبل الغربيين – بالدلالة ؛ لأن

---

(١) د/عبد الغفار هلال : علم اللغة بين القديم والحديث : ص/١٠-١٠٧ – بتصرف يسير – ، ط/٢ ، الجبلاوي ؛ سنة ١٤٠٦هـ .

لغتهم تمتاز بالثراء الواسع ، والتصرف المعنوي العريض ، فكل اللفـظ – في اللغة العربية – له إيحاءات كثيرة ، ويستعمل في التراكيب المختلفة بمعـــان تتفاوت بتفاوت العبارات ، أضف إلى ذلك ما تحتويه من الكلمـــات الـــتي تؤدي عدة معان ، تبعاً لتعدد القبائل الناطقة بها (٢) .

وظهر في هذا الميدان أقطاب ، كابن جني عالم اللغة المشـــهور ، في سفره "الخصائص" ؛ و ابن فارس في كتابه "الصاحبي" ؛ و أبي حاتم الـــرازي في كتابه المسمى "الزينة في الكلمات الإسلامية والعربية" .

مفهوم الدلالة :

لقد عرفها علماء اللغة بأنها : كون الشئ بحالة يلزم من العلم بشئ آخر ، ويسمى : الشئ الأول الدال ؛ والآخر المدلول (٣) .

أنواع الدلالة :

لقد قسم الباحثون الدلالة إلى أربعة أنواع :

أ- الدلالة المعجمية : وهي الدلالة التي وضعها الأسلاف للألفـــاظ المختلفة ، وتكفلت بيانها قواميس اللغة حسب مـــا ارتضتـــه الجماعـــة ؛ و اصطلحت عليه ، و تستعمل في الحياة اليومية بعـــد تعلمـــها بـــالتلقين و السماع ، و القراءة و الاطلاع على آثار السابقين الأدبية شعراً و نـــثراً ، و يتطلب هذا التعليم زمناً ليس بالقصير قبل أن يسيطر المرء علـــى لغـــة أبويه (٤) .

و هذه الدلالة عرضة للتغيير ، بل إنها تغيرت حقاً بعد عصر تدوين

(٢) لمزيد من التفصيل راجع : المرجع السابق : ص/٢٣٥ وما بعدها .

(٣) فقه اللغة : د/إبراهيم أبو سكين : ص/١٤ ، ط/الأمانة ، سنة ١٤٠٤هـــ .

(٤) علم اللغة بين القديم والحديث : ص/١٩٦ ؛ نقلاً عن دلالة الألفاظ ، د/إبراهيم أنيس : ص/٤٩ ، ط/٣ ، سنة ١٩٧٢م .

اللغة نتيجة اختلاف حياة الأجيال المتعاقبة ، وما جد مـــن مستحدثات و أمور تقتضي التغيير ، و قد لاحظنا حدوث ذلك في العصرين : الإسلامي ؛ والعباسي .

و من أمثلته مدلول ألفاظ الصـــلاة ، و الزكـــاة ، و الخليفـــة ، و السلطان ، والديوان وغيرها .

ولما زاد اختلاط العرب بغيرهم من الأمم الأجنبية امتـــد التغيير امتدادا كبيرا إلى المعاني القاموسية ؛ كما في كلمتي : "طويـــل اليـــد" ؛ و "بطح" (٥)

ولعل ذلك ناشئ عن نسيان المعاني الأصلية لبعـــض الكلمـــات ، وتحريف معاني بعضها الآخر (٦) ، إلى غير ذلك من أسباب تطور الدلالـــة والتي سنتحدث عنها فيما بعد .

ب- الدلالة الصوتية :

وهي ما يكون بين أصوات بعض الكلمات ؛ وطرائق نطقها ؛ و بين معانيها من ارتباط .

فقد اكتشف بعض العلماء في طائفة من الألفاظ العربية صلة بـــين ألفاظها ومعانيها ، فبينوا أن العربي كان يربـــط بـــين الصـــوت والمعنى ، فيجعلهما متشابهين ؛ فيدل على المعنى الضعيف بأصوات ضعيفة ؛ وعلـــى المعنى القوي بأصوات قوية ، ومن ذلك كلمة (سد) و (صد) فكلاهما لمعنى

(٥) و "طويل اليد" في القاموس : من تمتد يده بالعطاء ، وهي صفة كريمة ، وتطـــورت دلالته في العامية الآن ، وأصبح بمعنى اللص ؛ وطول اليد بمعنى السرقة ، أما "بطحـــه" ففي القاموس بمعنى : بسطه ممتدا على الأرض ، ومعناه الآن : عورة ، انظر : هـــامش ص/١٩٧ من كتاب علم اللغة بين القديم والحديث : للدكتور هلال – بتصرف – .

(٦) علم اللغة بين القديم والحديث : د/عبد الغفـــار حـــامد : ص/١٩٧-١٩٨ – بتصرف يسير – .

الحاجز إلا أن الأول لباب ونحوه ؛ وهو ضعيف ؛ فاستخدم لـه السين الضعيفة ، والثاني لجانب الجبل ، وهو قوي ؛ فاستخدم الصاد القوية .

وهكذا جعل العربي الصوت في مقابل المعنى المناسب لـه ، وتمتد المناسبة من الحرف الواحد إلى حرفين ، وإلى جميع حروف الكلمة (٧) .

وللنبر والتنغيم أيضا علاقة بالمعنى وذلك وإن لم يتضح في العربية الفصحى – لعدم اكتمال دراسة فيها – فإنه يظهر كثيرا في العاميات .

ومن أمثلته (محمد جه) فهذه الجملة تستعمل استفهاما أو إخبارا حسب اختلاف موقع النبر والتنغيم ، وقولك لشخص (رائع جدا) على سبيل التهكم بنغمة خاصة ، وعلى سبيل المدح بنغمة أخرى ، وتعتمد بعض اللغات على النبر والتنغيم في بيان المعاني كالصينية والإنجليزية في بعض الأحيان ؛ فالكلمة الواحدة قد تكون اسما أو فعلا تبعا للمقطع المنبور .

فالصوت يرتبط بالمعنى ، وطريقة الأداء لها دخل في التعبير عنه ، وهذا وإن كان خاصا ببعض الألفاظ وطرق أدائها ؛ فإن له أهمية في كشف جانب حيوي من جوانب دلالة الألفاظ (٨) .

ج- الدلالة الصرفية :

وهي التي تستمد من الصيغ وبنيتها فعندما نسمع (قطع) و (قطّع) ندرك أن الصيغة الأخيرة تدل على الكثير ، قال الله تعالى :﴿ وغلقت

(٧) نفس المرجع : ص/١٩٨ وما بعدها ، ولمزيد من التفصيل راجع : اللغة العربية .. خصائصها وسماتها : د/عبد الغفار هلال : ص/١٧٣ وما بعدها ، ط/٣ ، سنة ١٤٠٣هـ ، والمزهر للسيوطي : ٥٣/١ ، ط/٣ ، عالم الفكر ، والخصائص : لابن جني : ٥٧/٢ وما بعدها ، ط/٣ ، دار التراث ، ودراسات في فقه اللغة : د/صبحي الصالح : ص/١٤٢ ، ط/١ ، دار العلم للملايين .

(٨) علم اللغة بين القديم والحديث : ص/١٩٩ .

الأبواب ﴾ [يوسف/٢٣] ، وعندما نسمع (شاكر) و (شكور) ندرك أن الصيغة الأخيرة تدل على ما يدل عليه اسم الفاعل (شاكر) من حيث الحدث وفاعله ، و تزيد عليه في أنها تدل على كثرة الشكر ؛ والمبالغة فيه من فاعله (٩) .

د- الدلالة النحوية :

وهي التي تستمد من ترتيب الجملة وفق ترتيب المعنى المراد ، بحيث لو اختل هذا الترتيب دون قرينة تعين على فهم المعنى المراد لأصبح من العسير فهم المعنى المراد ، ففي الجملة : "زار عيسى موسى" ؛ لو قلنا : "زار موسى عيسى" دون قرينة ، لاختلف المعنى ؛ وتعسر فهم المراد ! (١٠) .

ظواهر التطور الدلالي :

ترجع أهمية ظواهر التطور الدلالي إلى ثلاثة أنواع (١١) :

أحدها : تطور يلحق القواعد المتصلة بوظائف الكلمات ؛ وتركيب الجمل ؛ وتكوين العبارة ...

وما إلى ذلك كقواعد الاشتقاق والصرف والتنظيم ... وهلم جرا ؛ وذلك كما حدث في اللغات العامية المنشعبة من اللغة العربية ، إذ تجردت من علامات الإعراب ؛ وتغيرت فيها قواعد الاشتقاق ؛ واختلفت مناهج تركيب العبارات .

وثانيها : تطور يلحق الأساليب ، كما حدث في لغات المحادثة العامية المنشعبة عن العربية إذ اختلف أساليبها اختلافا كبيرا عن الأساليب العربية الأولى .

و ثالثها : تطور يلحق معنى الكلمة نفسه ، كأن يخصص معناها

(٩-١٠) فقه اللغة : د/أبو سكين : ص/١٦ .

(١١) د/علي عبد الواحد وافي : علم اللغة : ص/٣١٣-٣١٤ - بتصرف - ، ط/٩ ، دار نهضة مصر

العالم ، فلا تطلق إلا على بعض ما كانت تطلق عليه من قبـل ، أو يعمم مدلولها الخاص ؛ فتطلق على معنى يشمل معناها الأصلي ، ومعاني أخـرى تشترك معه في بعض الصفات ، أو تخرج عن معناها القديم ؛ فتطلـق علـى معنى آخر تربطه به علاقة ما ، وتصبح حقيقة في هذا المعنى الجديد بعـد أن كانت مجازا فيه ، أو يستعمل في معنى غريب كل الغرابة عن معناها الأول .

أسباب تطور الدلالة (١٢) :

الأسباب التي تؤدي إلى تغير الدلالة كثيرة ، بعضها لغوي ؛ وبعضها اجتماعي ، ولكل منهما علاقة بالآخر ، فاللغة ظاهرة اجتماعية ..

أولا : الأسباب اللغوية : وهذه الأسباب متعددة وأهمها :

أ– كثرة استعمال اللفظ : فكثرة استخدام العام مثلا في بعض مـا يدل عليه يزيل مع تقادم العهد عموم معناه ، ويقصر مدلوله على الحـالات التي شاع فيها استعماله ولدينا في اللغة العربية وحدها آلاف من أمثلة هـذا النوع ، فمن ذلك جميع المفردات التي كانت عامـة المدلـول ؛ ثم شـاع استعمالها في الإسلام في معان خاصة تتعلق بالعقائد أو الشـعائر أو النظم الدينية ، كالصلاة ؛ والحج ؛ والصوم ؛ والمؤمن ؛ والكـافر ؛ والمنـافق ؛ والركوع ؛ والسجود ... فالصلاة مثلا : معناها في الأصـل الدعـاء ، ثم شاع استعمالها في الإسلام في العبادة المعروفة لاشتمالها علـى مظـهر مـن مظاهر الدعاء ، حتى أصبحت لا تنصرف عند إطلاقها إلى غير هذا المعـنى ... وقس على ذلك جميع أفراد هذه الطائفة (١٣) .

ب– خفاء معنى اللفظ أو نسيان مجال استعماله : إذا خفي معـنى اللفظ على الناطقين باللغة في جيل معين ، أو في انتقالها من جيل إلى آخـر ؛ فلم يفهم معناه ، أو لم يتضح لديهم ، تعرض للتغيير ؛ فكلمة (منيحة) كـان معناها : إعارة إنسان ناقة أو شاة ليشرب لبنها ، فتطور مع مرور الأجيـال

(١٢) علم اللغة بين القديم والحديث : ص/٢١٢،٢٢٦ – بتصرف – وقارن : بـ علم اللغة : د/وافي : ص/٣١٩–٣٢٥ .

(١٣) ابن فارس : الصاحبي : ص/٨٣–٨٦ ، ط/عيسى الحلبي ، سنة ١٩٧٧م ، فراجعه تجد تفصيلا .

في بعض عاميات "نجد" إلى معنى شراء ناقة لهذا الغرض ، فلعل المعنى مع طـول الزمن – لم يتضح لدى الأجيال أنه خاص بمعنى الإعارة فانتقل إلى معنى الشراء .

ج– تطور أصوات اللفظ :

فثبات أصوات الكلمة يساعد على ثبات معناها وتغيرهـا يذلـل أحيانا السبيل إلى تغيره ، وذلك أن صلتها بالأسرة الـتي تنتمـي إليـها ؛ وبالأصل المشتقة منه تظل وثيقة و واضحة في الذهن مـا دامـت محتفظـة بصورها الصوتية ، و قوة هذه الصلة تساعد على ثبات مدلولها على حـين أن تغير صورها الصوتية يضعف صلتها في الأذهان بأصلها وأسرها وبعدها عنهما ، وهذا يجعل معناها عرضة للتغير و الانحراف فـالوصف اللاتيـني Vivus مثلا ، ظل محتفظا بمعناه الأصلي (الحي ، ضد الميت) طوال المدة الـتي احتفظ فيها بأصوات بنية ، وذلك لقوة ارتباطه عن طريق هذه البنية بـأفراد أسرته .Vivere, Vita, etc ، ولكنه لم يلبث بعد أن تغيرت صورته الصوتيـة الفرنسية إلى Vif أن أخذ ينحرف شيئا فشيئا عن مدلوله القديم حتى بعـد عنه ، وأصبح يدل الآن على الوصف بالقوة والحدة والنشاط ، وذلـك لأن تغير صورته الصوتية باعد بينه ؛ و بين أفراد أسرته (Vivere, Vita, etc.) ؛ فعرض مدلوله لهذا الانحراف .

د– أثر بعض القواعد اللغوية :

تؤدي بعض نظم اللغة وقواعدها أصلا إلى تغير المعـنى ؛ فكلمـة (سراويل) – المعربة من الفارسية – تدل على المفرد لكن على وزن (فعاليل) – إحدى صيغ المجموع في اللغة العربية – ولذلك توهمها بعض العرب جمعـا مفرده (سروال) ؛ وكذلك كلمة Pavadeisos تدل علـى المفـرد في اللغـة الإغريقية ، فلما انتقلت إلى العربية ؛ و وجدها العرب على وزن (فعـاليل)

توهموها جمعا فصاغوا لها مفردا ؛ هو "فردوس" .

هـ- انتقال اللفظ من لغة لأخرى :

تنتقل بعض الألفاظ من إحدى اللغات إلى غيرها بسبب انتقال ما تدل عليه ، أو للحاجة إليها في العلوم والفنون أو لغير ذلك ، وكثيرا ما يتغير مدلول الكلمة على أثر انتقالها من لغة إلى لغة : فقد يخصص مدلولها العام وتقصر على بعض ما كانت عليه في لغتها الأصلية ، و قد يعمم مدلولها الخاص ، وقد تستعمل في غير ما وصفت له لعلاقة ما بين المعنيين ؛ وقد تنحط إلى درجة وضيعة في الاستعمال ؛ فتصبح من فحش الكلام و هجره ، وقد تسمو إلى منزلة راقية ؛ فتعتبر من نبيل القول ومصطفاه .

ومن ذلك كلمة : "زركون" الفارسية ؛ فهي – في بيئتها الأصلية – بمعنى : "ذهبي اللون" ؛ فلما دخلت العربية حولت الكاف إلى جيم – بالتعريب – ؛ فنطقت (زرجون) ؛ واتسع معناها ؛ فأطلقت على (الخمر- الكرم وأشجاره وأغصانه- صبغ أحمر) ومع ذلك فبين المعاني الجديدة ؛ والمعنى الأصلي وشائج قربى .

وإذا استأثر اللفظ الأجنبي بالاحترام والتقدير ترك أثرا ظاهرا في تطور المعنى .

ثانيا : الأسباب الاجتماعية : ويمكن أن نجملها فيما يلي :

أ- اختلاف طبقات المجتمع : فكل مجتمع يضم طبقات مختلفة في البيئة التي يعيشون فيها من مدن وقرى ، وجبال وسهول ، و وسائل حياة متنوعة ، وهذه الطبقات ذوات حرف ومهن كثيرة ؛ وبينها تباين في نظم الحياة والتفكير ؛ ودرجات التعليم والثقافة وغير ذلك ، وينعكس أثر هذا الاختلاف على اللغة كما ينعكس على غيرها من مظاهر حياتهم ، فلا ريب أن كل فريق منهم يفهم بعض ألفاظ اللغة على نحو خاص ، أو يدخل عليها بعض التغير الذي يناسبه ، وذلك قد يؤدي إلى اختلاف دلالتها ، فكلمة

حقل – مثلا – لها مفاهيم خاصة لدى الطبقات الاجتماعية التي تستعملها ، فالحقل لدى طبقة الفلاحين خاص بالأراضي الزراعية ، مكان عملهم اليومي ، على حين أنها تطلق لدى العلماء والباحثين على ميادين إجراء بحوثهم فيقولون : أثبتت التجارب في هذا الحقل صحة ما نذهب إليه من النتائج العلمية التي تشمل كذا وكذا ، ويقال حقل القوى البشرية ... إلخ .

ب- التغيير الاجتماعي :

إذا شق المجتمع طريق التقدم في الصناعة أو العمران أو الثقافة أو غيرها من مظاهر حياته ، تغيرت مدلولات الألفاظ تبعا لذلك ، فكلمة : (الريشة) ؛ مثلا : Plume كانت تطلق على آلة الكتابة أيام أن كانت تتخذ من ريش الطيور، ولكن تغير الآن مدلولها الأصلي تبعا لتغير المادة المتخذة منها آلة الكتابة ؛ فأصبحت تطلق على قطعة من المعدن مشكلة في صورة خاصة .

ج- الحالة النفسية :

للحالة النفسية أثر في استعمال بعض الألفاظ ، فقد يلجأ المتكلم نتيجة لتفاؤله أو لتشاؤمه إلى استخدام اللفظ في ضد معناه ، كما سميت الصحراء (مفازة) تفاؤلا بالنجاة من المخاطر التي تعترض سالكيها ، وكما سمي (الأعمى) (بصيرا) عزاء لحالته التي تؤلم النفس ؛ وأملا في أن يعوضه الله نورا في بصيرته .

اتجاهات التطور الدلالي :

يحدث التطور الدلالي تدريجيا في أغلب الأحوال ، ولكنه قد ينتهي آخر الأمر بتغيير كبير في المعنى ، وإن تغيرات المعنى غالبا ما تكون صدى لتغير الميول الاجتماعية ، وإن هذه الميول الاجتماعية ، أوضح في حالة "التغير الدلالي" منها في حالة "التغير الصوتي" .

وقد استطاع اللغويون ، بعد طول النظر فيما يطرأ على المعاني من

تغيرات في لغات كثيرة أن يحصروا اتجاهات هذه التغيرات في أنواع رئيسية تصدق على جميع اللغات (١٤) ويمكن أن نلخص هذه الاتجاهات في أمور ثلاثة هي (١٥) :

أ- المقارنة بين المعنى القديم والجديد : ويبدو ذلك في ثلاث صور :

١- تعميم المعنى الخاص :

ومن ذلك في الإنجليزية كلمةBarm كانت تدل فيما مضى على "مخزن الشعير" ؛ ولكنها الآن تدل على مخزن أي نوع من أنواع الحبوب ، وعلى مخزن ما سوى الحبوب أحيانا .

٢- تخصيص المعنى العام :

وذلك كالألفاظ الإسلامية التي استعملت قبل ظهور الإسلام لمعان عامة ثم خصصها الإسلام بمجالات معينة ، كلفظ (الصيام) - مثلا - فقد كان معناه قبل الإسلام : الإمساك مطلقا ، ثم خصصه الإسلام بالنية ، وحظر الأكل والمباشرة وغير ذلك من شرائع الصوم .

٣- انتقال اللفظ من معنى إلى آخر أجنبي عنه :

فالنافقاء إحدى جحور اليربوع التي يستطيع بها هذا الحيوان أن يفلت من صائده ، و قد اشتقت منها - بعد الإسلام - كلمة : "المنافق" لمن يظهر خلاف ما يبطن ، والعلاقة متحققة في التشابه بين المعنى القديم ؛

---

(١٤) د/محمود السعران : علم اللغة : ص/٣٢٧-٣٣٤ - بتصرف - ، ط/دار المعارف بمصر ؛ سنة ١٩٦٢م .

(١٥) علم اللغة بين القديم والحديث : ص/٢٢٧-٢٣٤ - بتصرف - ، وقارن بـ "علم اللغة" ؛ د/السعران : ص/٣٠٥-٣١٦ ، وراجع : لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : د/عبد العزيز مطر : ص/٢٨٠-٢٨٨ ، ط/دار الكاتب

العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨٦هـ ، تجد مزيدا من التفصيل والمعنى الجديد .

ب- ارتباط المعنى الجديد بالقديم :

يلاحظ - في تطور المعنى - وجود علاقة - غالبا - بين المعنى الأصلي ، والمعنى المنتقل إليه ، وأهم هذه العلاقات :

١- علاقة الاستعارة وهي المشابهة :

فقد يكون الارتباط بين المعنيين- القديم والجديد- قائما على أساس المشابهة بينهما ، مثل كلمة : (المجد) ؛ فقد كانت في الأصل تدل على امتلاء بطن الدابة بالعلف ، ثم انتقلت إلى معنى السمو والرفعة الذي يعبر عن امتلاء الإنسان بالخصال الحميدة ، فالعلاقة - كما هو واضح - المشابهة في الامتلاء ، وإن كان الأول حسيا ، والثاني : معنويا .

٢- علاقات المجاز المرسل :

ونذكر منها السببية كما في قولك "رعينا الغيث" والمراد النبات ، و المسببية ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ وينزل لكم من السماء رزقا ﴾ والمراد المطر ، والظرفية كما في قولك "شربت كأسا" والمراد ما فيه .

وقد انتقلت - بعلاقة المجاورة الزمانية - كلمة : (العقيقة) من الدلالة على الشعر الذي يخرج على الولد عند خروجه من بطن أمه إلى الدلالة على الذبيحة التي تنحر عند حلق ذلك الشعر .

ج- العلاقة الاجتماعية بالمعاني واستعمالها :

فالمجتمع قد يرفع بعض المعاني ويضع غيرها ، وقد يؤدي عصر ما إلى شيوع بعض المعاني وندرة بعضها الآخر ، فالدلالة تسمو أحيانا وتنحط أحيانا أخرى باعتبار نظرة المجتمع إليها ، ونوضح ذلك فيما يلي :

أ- سمو الدلالة : ومن ذلك انتقال كلمة : (بيت) من الدلالة على المسكن المصنوع من الشعر إلى البيت الضخم الكبير المتعدد المساكن الذي

نعهده في المدن .

وأيضا كلمة Marshal (مارشال) الإنجليزية كانت تعنى في وقت من الأوقات الغلام الذي يتعهد الأفراس (Maras) أي صبي الإصطبل !

ب- انحطاط الدلالة : وهذا النوع من التغير في المعنى يصدق علـى الكلمات كانت دلالتها تعد في نظر الجماعة "نبيلة" "رفيعة" "قوية" نسـبيا ، ثم تحولت هذه الدلالات فصارت دون ذلك مرتبة ، أو أصبح لها ارتباطـات تزدريها الجماعة .

من ذلك كلمة : (الاحتيال) كان معناها البحـث وبـذل الجـهد للوصول إلى هدف ثم تحولت – في عصرنا – إلى معنى الخداع للوصـول إلى مآرب شخصية ، وهذا مستقبح في عرف الجماعة !

خواص التطور الدلالي (١٦) :

١- أنه يسير ببطء وتدرج :

فتغير مدلول الكلمة مثلا لا يتم بشكل فجائي سريع ، بل يسـتغرق وقتا طويلا ، ويحدث عادة في صورة تدريجية ، فينتقل إلى معنى آخر قريـب منه ، وهذا إلى ثالث متصل به ... وهكذا دواليك ، حتى تصـل الكلمـة أحيانا إلى معنى بعيد كل البعد عن معناها الأول .

٢- أنه يحدث من تلقاء نفسه بطريق آلي لا دخل فيه للإرادة الإنسانية :

فسقوط علامات الإعراب في اللهجات العربية الحاضرة – مثلا – حدث من تلقاء نفسه في صورة آلية لا دخـــل فيـها للتواضـع أو إرادة المتكلمين .

٣- أنه جبري الظواهر :

لأنه حين يخضع في سيره لقوانين صارمة لابد لأحد على وقفـها أو تعويقها أو تغيير ما تؤدي إليه ، إليك مثلا حالة اللغة العربية فعلى الرغم من

(١٦) د/وافي ، علم اللغة : ص/٣١٤-٣١٨-٥٧ بتصرف .

الجهود الجبارة التي بذلت في سبيل صيانتها ؛ و محاربة ما يطرأ عليها من لحن وتحريف ، ومع أن هذه الجهود كانت تعتمد على دعامة من الدين ، فـإن ذلك كله لم يحل دون تطورها في القواعد والأساليب ؛ ودلالة المفـردات إلى الصورة التي تتفق مع قوانين التطور اللغوي ، فأصبحت على الحالة التي هـي عليها الآن في اللهجات العامية .

٤- أن التطور الدلالي في غالب أحواله مقيد بالزمان والمكان :

فمعظم ظواهر يقتصر أثرها على بيئة معينة وعصـر خـاص ، ولا نكاد نعثر على تطور دلالي لحق جميع اللغات الإنسانية في صورة واحـدة و وقت واحد .

٥- أنه إذا حدث في بيئة ما ظهر أثره عند جميع الأفراد الذين تشملهم هذه البيئة :

فسقوط علامات الإعراب في لغة المحادثة المصرية مثلا لم يفلت مـن أثره أي فرد من المصريين .

من هنا : ومن تلك الخواص ، يتبين فساد كثـير مـن النظريـات القديمة بصدد هذا التطور ، فليس بصحيح ما ذهب إليه بعض العلماء مـن أن هذا التطور يحدث نتيجة لأعمال فردية اختيارية يقوم بها بعض الأفـراد ، وتنتشر عن طريق المحاكاة ؟! وإنما يرجع هذا التطور – فيمـا نـرى – إلى جبرية الظواهر اللغوية ، وهذا ما نادت به قديما مدرسة ألمانيـة الأصـل ، أطلق على أفرادها "المحدثين من علمـاء القواعـد" Neo-Grammarians ؛ ورأوا أن قوانين التطور لا يستطيع أي فرد تعويقها أو تغيرها ، وإن واجـب الباحث في هذه الظواهر ينبغي أن ينحصر في تحليلـها لكشـف القوانـين الخاضعة لها ...

* * *

نبذة من حياة الجاحظ و آثاره

بقلم : الدكتور سيد محمد مجتبى حسين الندوي

حياتـــه :

هو عمرو بن بحر بن محبوب الكنعاني بالولاء ؛ وقيل : بل كنعـاني صليب ، والأول أشهر ؛ وكان له جد أسود اللون ؛ يقال له : فزارة كـان جمّالاً لعمرو بن قلع من بني كنانة ، ولقب بالجاحظ لجحوظ أعينه ، وربمـا قيل له الحدقي لكبر حدقتيه – وكني بأبي عثمان – .

ولد أبو عثمان في البصرة حول سنة ٧٧٦هـ ؛ فلما ترعرع طلب العلم في الكتّاب ، و خالط المسجديين من أهل العلـم و الأدب ، فـأخذ عنهم ، وكان يكترى حوانيت الورّاقين ويبيت فيها للمطالعـة ، علـى أن ضيق ذات يده لم يتح له أن ينقطع إلى العلم في أول أمره ، فقد شوهد يبيـع الخبز والسمك في سيحان ، و لعله أفاد من هذه التجارة ما أغنـاه بعـض الشئ ؛ فانصرف يجلس إلى علمـاء البصرة ؛ يسمع من العرب الخلّص في المربد (١) .

وبعد ذلك ذهب الجاحظ إلى بغداد ، عاصمة العلم الإسـلامي في ذلك العهد ، وكانت تجتذب إليها نخبة المفكرين وأهل الفن في هذه المرتبـة ، وما كانت يومذاك مركزاً من أهم المراكز الاقتصادية في العالم وحسبُ بـل كانت أيضاً وخصوصاً عاصمة العلم والأدب والجمال ، وكـان تسـاهل الخلفاء العباسين حافزاً للكتاب ، أيا كان مذهبهم وأصلهم ، على الإقامـة فيها ؛ فصارت على حق عين العراق يوم كانت عين العالم ، وقد أفاد الجاحظ من

(١) بطرس البستاني ! أدباء العرب في الأعصر العباسية : ص/٢٦١ .

جو بغداد هذا التوسع في ثقافته وتكنيزها .

استدعى المأمون الجاحظ على أثر كتاب وضعـه عـن "الإمامـة" وصدّرة ديوان الرسائل ، وما انقضت ثلاثة أيام حتى استعفى مـن منصبه فأعفي ، وكان سهل بن هارون يقول : إن ثبت الجاحظ في هذا الديوان أفل نجم الكتاب ، و ما كان تمرده الفطري على القيود ليبقيه في الديوان أكثر مما بقي إلا أنه بقي للخليفة مخلصاً وفياً ، فتيسرت حاله بعد بوس .

ولما توفى المأمون لازم الجاحظ محمد بن عبد الملك وزيـر المعتصم المعروف بابن الزيات ؛ وانحرف عن القاضي أحمد بن أبي دؤاد ، للعداوة بين أحمد ومحمد ، فلما قبض على ابن الزيات هرب الجاحظ ؛ فقيل له : لمـاذا هربت ؟ فقال : خفت أن أكون ثاني اثنين إذ هما في التنور (كان ابن الزيات قد صنع في أيام وزاته تنوراً من حديد يعذب فيه المصادرين ؛ فلما اعتقلـه المتوكل أمر بادخاله في التنور) (٢) .

وكان ابن الزيات من أكابر رجال الأدب والسياسة فكتـب لـه الجاحظ ، ومدحه ، وأهداه "كتاب الحيوان" ؛ فأجازه الوزير بخمسة آلاف دينار ، وفي تلك الأثناء قام الجاحظ بأسفار إلى دمشق وأنطاكيـة ، وربمـا وصل إلى مصر أيضاً ، فزادته الأسفار والضرب في الآفاق اطلاعـاً وسـعة معرفة ، ومهر في خياله بصور جديدة (٣) .

وقدم أبو عثمان كتابه "البيان والتبين" للقـاضي ابـن أبي دؤاد ؛ فأعطاه هذا خمسة آلاف دينار ، وأقام زمناً على عهده ؛ فلما مرض وخلفـه في القضاء ابنه أبو الوليد ، التحق به الجاحظ حتى صرف من الخدمـة ، ثم لزم الفتح بن خاقان وصادقه على ود ، وقدم له بعضاً من كتبـه ، منـها :

(٢) د/حنا الفاخوري الجاحظ : ص/١٨ .

(٣) د/حنا الفاخوري الجاحظ : ص/١٨ .

كتاب مناقب الترك ، وعامة جند الخلافة .

وذكر الجاحظ من بعد للمتوكل لتأديب بعض ولـــده ، فلمـــا رآه الخليفة استبشع منظره ؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم و صرفـــه ، فمـــا أن خرج من عنده حتى لقي محمد بن إبراهيم ، حاكم فـــارس ، وهـــو يريـــد الانصراف إلى مدينة السلام ، فعرض عليه الخروج معـــه ، والانحدار في حرّاقته بسر من رأى تعرف اليوم "بسمرا" فركبا في الحراقة حتى انتـــهيا إلى فم القاطول ؛ فنصب هناك ستارة وأمر الغناء فنغم الجاحظ ، ما شاء التنغـــم بالنغم الشجي ، وكان يأبى الحياة أن تمر على غير زهو ورفاه (٤) .

واشتدت وطأة السنين على الجاحظ و وهنت قواه ، وأصيب بفـــالج نصفي فعاد إلى البصرة حيث لزم بيته سجين الهرم ، حدث المـــبرد قـــال : "ودخلت على الجاحظ في آخر أيامه ؛ فقلت له : كيف أنـــت ؟ فقـــال : كيف يكون من نصفه مفلوج لو حز بالمناشير ما شعر به ، ونصفـــه الآخـــر منقر لوطار الذباب بقربه لعلمه ، وأشد من ذلك ست وتسعون سنة أنافيها .

وهرع العلماء والأدباء إلى زيارة الشيخ العليل ، معلم العالم العـــربي بجملته و توافدوا البصرة وبغداد وسواهما من البلدان ، وكان المبرد صـــاحب "الكامل" من جملة الزائرين .

وأخذ ذلك المصباح يخبو شيئاً فشيئاً وأخذ نوره يتضاءل تاركـــاً في البلاد نور العلم والثقافة الواسعة ، وهكذا مات الجاحظ معلم الأدب ســـنة ٨٦٨م–٢٥٥هـ ، وقد انهالت عليه الكتب يوماً ؛ وهو بينما يقرأ فقضت عليه (٥) .

أستاذه وعلومه : رغب الجاحظ في العلم وهو حـــدث فكـــان يذهـــب إلى

(٤) جميل جبير : الجاحظ ومجتمع عصره : ص/١٣ .

(٥) د/حنا الفاخوري الجاحظ : ص/٢٠ .

الكتاب في البصرة مع ما هو فيه من خصائصـــه ، ثم عمـــد إلى دكـــاكين الوراقين يكتريها ويبيت فيها للنظر ، ولم يقع في يده كتاب إلا استوفى قرأتـــه ، ثم اتصل بشيوخ العلم وأئمة الأدب فأخذ عن أبي عبيدة والأصمعـــي وأبي زيد الأنصاري وأبي الحسن الأخفش ؛ و تخرج في الكلام والاعتزال على أبي إسحاق النظام وكان يشهد المربد ، ويسمع اللغة من الأعراب شفاها .

و أخذ عن جماعة من الفقهاء كأبي يوسف صـــاحب أبي حنيفـــة ؛ ويزيد ابن هارون ، والسري بن عبدويه وروى عنـــه المـــبرد وأبـــو بكـــر السجستاني وسواهم .

ويرى بعضهم أنه تعلم الفارسية وأتقنها ، لم يدع الجـــاحظ علمـــا معروفا أيامه إلا نظر فيه ، واطلع عليه فقد درس الفلســـفة ؛ والمنطـــق ؛ و الطبيعيات ؛ و الرياضيات ؛ و التـــاريخ ؛ و السياســـة ؛ و الأخـــلاق ؛ و الفراسة ، فاكتملت ألسنته ، فإذا هو فقيه متكلم يتفلســـف ويتمنطـــق ، محدث وإن لم يؤمن بالحديث ، بـــارع في الأدب واللغـــة راويـــة الأخبـــار والأشعار ، بحاثة عن الحيوان والنبات ، نقاد للأخلاق ، والعـــادات ، عـــالم بالفلك ، والموسيقى ، والغناء (٦) .

شخصية الثقافية :

كان الجاحظ ذا ثقافة واسعة جدا تجعل منه دائرة لمعارف حية ، فقد وعى في صدره جميع معـــارف عصـــره في الأدب ؛ والديـــن ؛ والعلـــم ؛ والفلسفة ؛ قال أبو بكر أحمد بن علي "كان أبو عثمان الجاحظ من أصحاب النظام ، وكان واسع العلم بالكلام ، كثير التبحر فيـــه ، شـــديد الضبـــط لحدوده ، ومن أعلم الناس به وبغيره من علوم الدين والدنيا ؛ ولـــه كتـــب كثيرة مشهورة جليلة في نصرة الديـــن وفي حكايـــة المخـــالفين ، والآداب

(٦) بطرس البستاني : أدباء العرب في الأعصر العباسية : ص/٢٦٨ .

والأخلاق ؛ وفي ضروب من الجد والهزل ، وقد تداولها النـــاس وقرأوها وعرفوا فضلها ، وإذا تدبر العاقل المميز في كتبه ، علم أنه ليس في تلقيح العقول وشحذ الأذهان ، ومعرفة أصول الكـلام وجواهـره ، و إيصال خلاف الإسلام ؛ ومذاهب الاعتزال إلى القلوب كتب تشبهها ، والجاحظ عظيم القدر في المعتزلة وغير المعتزلة من العلماء الذين يعرفـون الرجـال ، ويميزون الأمور .

نقل : ياقوت الحموي في كتابه : حدثنا جماعة من الصائبين الكتاب ، أن ثابت بن قرة قال : ما أحسد هذه الأمة العربية إلا على ثلاثة أنفس فإنه :

عقم النساء فلا يلدن شبيهه

إن النساء بمثلـه عقم

فقيل له : أحص لنا هؤلآء الثلاثة ؛ قال أولهم عمر بن الخطاب ؛ و الثاني الحسن البصري ؛ والثالث أبو عثمان الجاحظ ، خطيب المسلمين ؛ وشيخ المتكلمين ، و مدار المتقدمين و المتأخرين ، إن تكلم حكى سحبان وائل في البلاغة ، وإن ناظر ضارع النظام في الجدال ، وإن جد خرج في مسك عامر ابن عبد قيس ، وإن هزل زاد على مزيد حبيب القلوب ومزاج الأرواح ، وشيخ الأدب ولسان العرب ، كتبه : رياض زاهرة ؛ و رسائله "أفنان" مثمرة ، ما نازعه منازع إلا رشاه أنفا ولا تعرض له منقوص إلا قدم له التواضع استبقاءً الخلفاء تعرفه ، والأمراء تصافيه وتنادمه ، والعلماء تأخذ عنه والخاصة تسلم له ، والعامة تحبه ، جمع بين اللسان والقلم ؛ وبين الفطنة والعلم ، وبين الرأي والأدب ؛ وبين النثر والنظم ؛ وبين الذكاء والفهم ، طال عمره وفشت حكمته وظهرت خلته و وطئ الرجال عقبه ، وتهادوا أدبه ؛ وافتخروا بالانتساب إليه ونجحوا بالاقتداء به ، ولقد أوتي بالحكمة وفصل الخطاب ، هذا قول ثابت وهو قول صابئ لا يرى للإسلام حرمة ولا للمسلمين حقا ، ولا يوجب لأحد منهم ذماما ، قد انتقد هذا الانتقاد ،

ونظر هذا النظر ، وحكم هذا الحكم ، وأبصر الحق بعين لا غشاوة عليها من الهول ونفس لا لطخ رد بها من التقليد ، وعقل ما تحيل بالعصبية ، و لسنا نجهل مع ذلك فضل غير هؤلآء من السلف الطاهر ، والخلف الصالح ، ولكنا عجبنا فضل عجب من رجل ليس منا ولا من أهل ملتنا ولغتنا .(٧) .

وكتب أحمد أمين في كتابه : "ضحى الإسلام" كان الجاحظ أكثر أهل زمانه اطلاعا على أنواع المعارف المعروفة في زمنه ؛ فهو في الأدب مطلع أتم الاطلاع على الشعر الجاهلي ؛ و الشعر الإسلامي ؛ و شعر المحدثين ؛ ومطلع على أخبار العرب وخطبهم ؛ وفصيح قولهم ؛ وفي العلوم الدينية عالم واسع العلم في القرآن والحديث ؛ والمذاهب الكلامية ؛ وفي الثقافة اليونانية خبير بها مطلع على دقائقها ، وأكبر ما يدل على ذلك "كتابه الحيوان" وهو عالم بالطبيعيات والإلهيات اليونانية ، يعرف ما كتب أرسطو في الحيوان ويكثر النقل عنه ، يسميه : "صاحب المنطق" أحيانا ؛ ويسميه باسمه أحيانا ؛ وهو عالم بما قاله اليونان في النفس والأخلاق ، وينقل عن حنين وخشوع وينقل عن سلموية (٨) .

شخصيته الدينية :

كان الجاحظ مؤمنا حسن الإيمان ، يرى أبدا في الخلائق يد الخالق وحكمته ، و كان معتزلا يشهد له بالتفوق في الكلام والحجة . قال ابن قتيبة : إن الجاحظ آخر المتكلمين و أحسنهم للحجة ، حتى إنه ليعظم الصغير ؛ ويصغر العظيم .(٩) .

طالع الجاحظ كثيرا من كتب الفلاسفة وانفرد عن سائر المعتزلة

(٧) ياقوت الحموي : معجم الأدباء : ج/ ١٥ ، ص/٩٨-٩٩ .

(٨) أحمد أمين : ضحى الإسلام : ج/٣ ، ص/١٢٨ .

(٩) د/حنا الفاخوري الجاحظ : ص/٢٣ .

بمسائل تابعه بها جماعة عُرفوا بالجاحظية ، ومن مذهبه أن المعارف كلها ضرورية ؛ وليس فيها شئ من أفعال العباد ؛ وإنما هي طبيعية وليس للعباد كسب سوى الإرادة ، وأن العباد لا يخلدون في النار ؛ وأن الله لا يدخل أحداً النار ؛ وإنما النار تجذب أهلها بنفسها وطبيعتها ، وأن الله لا يريد المعاصي ، ولا يريد بمعنى أنه لا يغلط ولا يصح في حقه السهو ؛ وأنه يستحيل العدم على الجواهر من الأجسام ؛ وإنما الإعراض تتبدل والجوهر باق ، ونحو ذلك (١٠) .

زندقته :

كان الجاحظ حر التفكير كغيره من أصحاب الاعتزال يعتمد على العقل ، ويتخذه أماماً في تفسير الشرع وتأويله ، ولا يطمئن إلى الحديث لكثرة ما فيه من المصنوع ، فردّ كثيراً من الأحاديث واتهمها وحمل على علماء التفسير من سنيين وصوفيين وغالية ، فأنكر عليهم أقوالهم وجهلهم ، وسخر منهم وأسرف في السخرية ، وفي كتاب الحيوان مقالات كثيرة ، يناظرهم بها في غير رفق ولا هوادة ، فمن ذلك قوله : وقال الله عزّوجل : ﴿ والتين والزيتون ﴾ ، فزعم زيد بن أسلم أن التين دمشق ؛ والزيتون فلسطين ، والكلمات في هذا الموضع ليس يريد بها القول والكلام المؤلف من الحروف ، وإنما يريد النعم والأعاجيب والصلاة وما أشبه ذلك ، وقال أيضاً وفي القرآن قول الله عزّوجل : ﴿ أوحى ربك إلى النحل ﴾ ، فقد زعم ابن حائك وناس من جهال الصوفية أن في النحل أنبياء ، لقوله عزوجل : ﴿ و إذا أوحيت إلى الحواريين ﴾ ، وما خالف أن يكون في النحل أنبياء ؛ بل يجب أن تكون النحل كلها أنبياء ، لقوله على المخرج العام : "أوحى ربك إلى النحل" ؛ ولم يخص الأمهات والملوك واليعاسيب بل أطلق القول إطلاقاً ، وقال أيضاً

(١٠) جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية : ص/٤٧٦ ، الجزء الثاني .

وزعم بعض المفسرين وأصحاب الأخبار أن أهل سفينة نوح كانوا تأذوا بالفار فعطس الأسد عطسة فرمى من منخريه بزوج سنانير ، فلذلك السنور أشبه شئ بالأسد وسلح الفيل زوج خنازير ، فلذلك الخنزير أشبه شئ بالفيل ؛ قال كبسان : فينبغي أن يكون ذلك السنّور آدم السنانير وتلك السنورة حواءها وضحك القوم .

وهذه الشواهد كافية لدلالته على تهكم الجاحظ برجال الدين من غير المعتزلة ، وتسفيهه أقوالهم فلا بدع أن ينقموا عليه ، ويتتبعوا هفواته ويرموه بكل نقيصة ومعرة ، فقد اتهموه بدينه ، وقالوا : إنه زنديق واتهموه بصنع الحديث والتهاون بالصلاة ، و وضعوا عليه روايات لا محل لذكرها على أننا وإن كنا نعتقد أن الجاحظ ليس من أولئك المتشددين في أمر الدين ، و لا من الذين يؤمنون بأحكامه دون أن يحتكموا إلى عقولهم ، لنأبى أن نجازي من يرمونه بالزندقة والإلحاد ، فليس في كتبه ما يدلنا على كفره ، وإنما هي مشبعة بالعاطفة الدينية ، لا يفتأ يتحدث فيها بقدرة الله وحكمته في خلقه ، وقلما روى خبراً إلا ذكر الله وأثنى عليه وإذا تكلم على منافع الكتب ، فضل كتب الله على غيرها ، و إذا ذكر الفصاحة لا يجد أفصح من النبي محمد ﷺ ، فمن كان هذا شأنه فما هو بزنديق وإنما هو مفكر حر التفكير يشك في موضع الشك ويؤمن في موضع الإيمان ، وكان له من روح عصره وأحوال بيئته ما يفسح له في مجال الشك والسخر ، فشك وسخر ، ولكنه لم يسقط في الكفر والجحود وليس التهاون بالصلاة ضرباً من الكفر إذا صح أن الجاحظ كان لا يقيمها في أوقاتها ، ولم يقم دليل قاطع على وضعه للأحاديث ، وهبه وضع تماجناً أو مداعبة أو نكاية ، شيئاً منها فما يؤثم به لأنه كان يتهم الأحاديث ، ولا يثق بها ، وقبله أبو حنيفة لم يعتقد بالحديث ، فالجاحظ مستهزئ ساخر معتزلي يعتمد على العقل ، ولكنه ليس

بزنديق (١١) .

آثـــــاره :

خلف الجاحظ مؤلفات كثيرة جعلها بعضهم ثلاثمائة وستين كتابـا ؛ و هي دون ذلك فيما نعلم لأنه أضيف إلى الجاحظ كتـب ليست لـه ، وذكرت كتب تكرارا بأسماء مختلفة ، على أنه مهما يكن من شئ فإن آثار الجاحظ في غاية الخصب ونظرة إلى ما أثبت منـها في مقدمة الحيوان ، ومعجم الأدباء تطلعنا على طائفة جليلة ، تربى على المائة بين مؤلف كبير ورسالة صغيرة ، وفيها عالج مختلف الأغراض والموضوعـات ، فكتب في الأدب والشعر ؛ والديانات والعقائد ؛ والإمامـة والنبوة ؛ والمذاهب الفلسفية ، وبحث السياسة والاقتصاد ؛ وتحصين الأموال وغش الصناعات ، والأخلاق وطبائع الأشياء وحيل اللصوص ؛ وحيل المكدين وذوى العاهلت كالحول والعور والعرجان والبرصان وتكلم على العصبية ؛ وتأثير البيئة ؛ فكتب في القحطانية والعدنانية والصرحاء والهجناء والسودان والحمران ، والرجال والنساء وفي أي موضع يغلبن ويفضلن وفي أي موضع يكن المغلوبات والمفضولات ، ونظر في العلوم التاريخية والجغرافية والطبيعية والرياضية ؛ فكتب في المدن والأمصار ؛ والمعادن وجواهر الأرض ؛ والكيمياء والنبات ؛ والحيوان والطب ؛ والفلك ؛ والموسيقى والغناء ، والقيان والمغنين ؛ وكتب في الجواري والغلمان والعشق والنساء ، والنرد والشطرنج وغير ذلك مما يتناول الحياة الاجتماعية والأدبية والعلمية في عصره ؛ وقبل عصره (١٢) .

(١١) بطرس البستاني : تاريخ الأدباء في الأعصر العباسية : ج/٢ ، ص/٢٦٧ .

(١٢) بطرس البستاني : أدباء العرب في الأعصر العباسية : ج/٢ ، ص/٢٧٠ .

أول حوار مع خليفة الإمام أبي الحسن الندوي

[٢/الأخيرة]

بقلم : الدكتور غريب جمعة
(جـدة)

س حتى لا يظن القارئ أننا نفكر بعقلية "الإقليمية الضيقة" اسمحوا لي أن أسألكم : ما هي أهم التحديات التي تواجه العالم الإسلامي بصفة عامة ؛ وكيفية مواجهتها من وجهة نظركم ؟

ج إن العالم الإسلامي في قضاياه الأساسية عالم واحد يجتمع فيه الأبيض مع الأسود ؛ والعربي مع العجمي ، فلابد أن تكون نظرته الأساسية إلى الحياة واحدة يرى بها الأخطار التي تهدد إسلامية المسلمين و وحدتهم ، وطرق مواجهتها ، أما قضاياه المحلية ؛ ومتطلبات بلاده السياسية الخاصة ؛ فتكون معالجتها على الصعيد المحلي ؛ وبرعاية الأوضاع الخاصة بكل منطقة ، ومن أبرز قضايا العالم الإسلامي الأساسية اليوم هي مواجهته لخصومة الأمم غير الإسلامية للأمة الإسلامية ، وفي هذا المجال نـرى أن الأمم الغربية الكبرى كلها اجتمعت على معارضة الشخصية الإسلامية ؛ فهي تريد القضاء على الشخصية الإسلامية في كل مكان باتهامها بتهمة الأصولية ؛ و الإرهاب ، مع أن هذه الأصولية لا حقيقة لها سوى أنها التزام ديني لأفراد الأمة الإسلامية ، أما الإرهاب ؛ فليس إلا في بعض الفئات المسلمة التي مرت من خلال ظلم ؛ واضطهاد ؛ وقتل ؛ وتشريد ، فثارت ضد الاعتداء والظلم كرد فعل من هذه الشعوب على أحداث الاعتداء ؛ والقتل ؛ والتشريد التي وقعت بشدة و همجية في عدد من أقطارها ، و مثالها ما وقع في "شيشان" ؛ وفي بوسنيا ؛ وفي "جنوبي فلبائن" ؛ وفي "الأريتيريا" ؛ وفي

"فلسطين" وغيرها، فلا يجوز بتاتاً أن يتهم الإسلام ؛ والالتزام الديني بذلك ؛ لأن الالتزام الديني إنما يتصف بالسلام ؛ وبإسداء الخير إلى الإنسانية ، فإن قضايا العالم الإسلامي الأساسية هي واحدة ، وهي ان نحافظ على القيم الإسلامية ؛ ونصون خصائص الإسلام في شعوبه ، وذلك يمكن بتبصير المسلمين أنفسهم بما يجب عليهم من الحفاظ عليه من القيم ، وبما يجب عليهم الالتزام به من الخصائص ، وبتبصير مخالفينا والمسيئين للظن بنا بأن الالتزام الديني في المسلمين ؛ واحتفاظهم بخصائصهم الإسلامية ليست بضارة لأحد ، إنها في صالح الإنسانية ؛ وإنها في مصلحة الجميع ، وإنه يجب أن نرى إلى الإسلام ؛ ونعرفه لدى المسلمين الملتزمين ممن لم يقعوا في اضطهاد ؛ وظلم ؛ وبخس حقوق ؛ وتشريد من بلادهم ؛ فلم يقعوا في رد فعل ، ويجب أن نكون مطلعين على الأخطار التي قد تحدق بنا من خصومنا وأعدائنا ، وأن نهيئ نفوسنا للعمل لمصلحة الإسلام والمسلمين ؛ وتحسين وضعهم بين أظهرهم أنفسهم ، وبين مواطنيهم ، وأمام أعدائهم حتى يصيروا قادة للأمم ؛ وأئمة الهدى في العالم ، وهذه هي الأفكار التي كان يدعو إليها سماحة شيخنا السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله ، ويدل على ذلك كتابه : "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" ؛ ومجموعات مقالاته مثل : "إلى الإسلام من جديد" ؛ و "حديث مع الغرب" ؛ و "اسمعوها مني صريحة ؛ أيها العرب !" وغيرها ، وكان يقول للمسلمين العرب – وهو نفسه كان يحمل الدم العربي ؛ وينتسب بالنسب العربي – : إن الأمة العربية لم تكن لائقة بأي تقدير واحترام قبل بعثة رسول الله محمد ابن عبد الله ﷺ ؛ فقد كان العرب قبله ﷺ أميين ؛ وبعيدين عن المدنية ؛ والحضارة كل بعد ، ولكنهم لما رفعوا لواء الإسلام ؛ واعتصموا بالراية المحمدية بلغوا في العلم ؛ والمعرفة ؛ والمدنية ؛ والحضارة إلى أعلى المدارج ، وسادوا في العالم وما تخلفوا ؛ وهانوا فيما بعد إلا بتهاونهم في الاعتصام بتعاليم الإسلام ، وفي

التحلي بأخلاق أسلافهم المسلمين الأولين ، فعليهم أن يرجعوا إلى اتخاذ أسلافهم المسلمين قدوة ؛ وأسوة لهم ، وإذا فعلوا ذلك فكل الشعوب المسلمة سواء كانت بيضاء ؛ أو سوداء ، شرقية كانت أو غربية ، تنحاز إلى رايتهم الإسلامية ، وتجتمع تحت قيادتهم ، ويجب أن نفهم فهما جيدا أن الغرب مهما بدا منه الحب ؛ والرعاية لنا لن يكون مخلصا لنا ، ولا محبا لشخصيتنا الإسلامية ، فقد ثبت جليا أنه ليس منصفا لنا ، ولا عادلا في قضايانا ، والسبب الأكبر في ذلك هو الأثر الذي تركته على أذهان أبنائه كتابات المستشرقين المعارضين للإسلام ، فقد شوهوا وجه الإسلام بدعاياتهم الخادعة ، فعلينا أن يقوم أهل التحقيق والأدب منا بعرض الإسلام عليهم بصورته الكريمة الحقيقية ؛ فيزيلوا بذلك إساءتهم الظن به ؛ أو يقللوا سوء ظنهم بالإسلام وأهله .

س كانت رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالإضافة إلى مؤسسات وهيئات عالمية أخرى ثمرة غرس مبارك لسماحة الإمام الندوي ، ونأمل أن تستمر رعاية هذا الغرس ؛ حتى يؤتي أكله كل حين بإذن ربه ، فهل يتحقق ذلك – بمشيئة الله – على كثرة الأعباء الملقاة على كاهلكم ؟

ج لا شك أن رابطة الأدب الإسلامي العالمية كانت من أحب الهيئات العلمية الإسلامية لدى سماحة شيخنا أبي الحسن الندوي رحمه الله ، وقد اعترف محبو الأدب الإسلامي بما قام به سماحته نحو العمل له ، وأرى أن الغرس الذي كانت له يد طولى فيه قد نما ؛ وبدأ يقوى ، فأرجو أن العاملين له سيواصلون المسيرة فيه محتذين بحذوه إن شاء الله تعالى .

س نحن نعرف أن جامعة "ندوة العلماء" لها صلات طيبة بكثير من المؤسسات ؛ والهيئات الإسلامية داخل الهند وخارجها ، فما هي نصيحتكم لهذه المؤسسات والهيئات ؛ حتى لا تتبعثر هذه الجهود ؛ وتضيع سدى ؛ ولا تأتي بفائدة تخدم الإسلام والمسلمين في هذا الوقت الذي تداعت

فيه الأمم على المسلمين ؛ كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ؟

ج أرى أن دعوة "ندوة العلماء" إلى الجمع بين القديم الصالح ، والجديد النافع دعوة أثبتت جدواها ، وذلك في إنتاجها الفكري ؛ وفي تخريجها للرجال ، فلابد أن نعرف جدارة رسالة الندوة ، وأن نطلع الآخرين عليها ليختاروها ، فإننا نجدها حاجة المسلمين التعليمية والتربوية في العصر الراهن .

س يموج العالم الإسلامي بأصوات كثيرة تطالب بالعودة إلى الإسلام ، أو ما يسمى باليقظة الإسلامية ، ولكل وجهة هو موليها ، فكيف يمكن ترشيد هذه اليقظة من وجهة نظركم ؟

ج إن الإسلام لا يزال هو الحل الوحيد للإنسان رغم تقدمه المادي ؛ والعلمي الراهن ، ورغم منجزاته العلمية ؛ والتكنولوجية الجبارة الهائلة اليوم ، فإن الخواء النفسي ؛ والفراغ الروحي متغلغل في أحشائه ، والسعادة الداخلية ؛ والراحة النفسية لا يزال كل ذلك بعيدا منه ، ولا يملأ هذا الفراغ ؛ ولا يملأ قلب الإنسان بالسعادة المنشودة إلا الإسلام ، ولكن مسئولية العمل له مسئولية تتطلب من أصحابها اختيار المنهج الحكيم للدعوة ؛ وحسن الخلق ؛ والعمل الدؤوب في مجال الدعوة مع احترام العاملين الآخرين .

س أصبح الإعلام اليوم من أخطر الأسلحة التي لا يمكن تجاهلها ، فما هو المطلوب من الإعلام الإسلامي ليؤدي دوره لخدمة الدعوة الإسلامية ؛ ونشرها بين المسلمين ؟

ج التربية والإعلام : هما الوسيلتان العظيمتان اللتان بلغ الغرب بهما إلى السيادة العالمية ، ثم إنه يزين بهما ما يريد تزيينه في أنظار العالم ، ويهجن أو يبغض ما يريد تهجينه أو تبغيضه في أنظار العالم ، فلابد أن يقبل المسلمون هذا التحدي ؛ ويواجهوا الخطر منه ، ويعدوا ما يستطيعون إعداده في هذا السبيل ، وهم مأمورون بتسليح أنفسهم بأسلحة أعدائهم ، فعليهم أن يؤسسوا مدارس وجامعات على منهجهم الإسلامي الحكيم ،

وهو الجمع بين القديم الصالح ؛ والجديد النافع ، ويقوموا بإعلام جدير بمقتضيات عصرهم الراهن ، وذلك يمكن بتعاون الأغنياء منهم مع أهل الخبرات ؛ والاختصاصات التربوية ؛ والإعلامية منهم .

س قضية الأقليات الإسلامية في المجتمعات غير الإسلامية تعتبر من أخطر القضايا في الوقت الحاضر ، فما هو الواجب على هذه الأقليات ؛ حتى تفرض احترامها على من حولها ، وما هو واجب الدول التي تعيش فيها نحوها ؟

ج على الأقليات الإسلامية أن تقوم أولا بتبصير أعضاء الأغلبيات التي يواجهونها بالمعاني الإنسانية السامية التي يحملها الإسلام للبشرية جمعاء مع التحلي بها في حياة أفرادها ، وأن يكونوا خير الجيران لجيرانهم من أبناء الأغلبيات ، والناصحين المخلصين لهم على الصعيد الإنساني ؛ حتى يأنسوا بهم ، ويعرفوا الخير الذي يحمله الإسلام ، فهم إذن سيميلون إلى الإسلام ؛ أو يحسن ظنهم به ، وكل ذلك يكون في مصلحة هذه الأقليات ؛ وفي صالح الأغلبيات كذلك .

ولا يسعنا في ختام هذا الحوار إلا أن نتوجه بالشكر الجزيل لسماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ؛ الرئيس العام لجامعة ندوة العلماء" على سعة صدره و وقته ، مع خالص الدعاء إلى الله تبارك وتعالى أن يوفقه في أداء مهمته الصعبة ؛ و رسالته الكبرى ؛ و أن يجعل له من جنده أعوانا ممن يبتغون فضلا من الله ورضوانا ؛ حتى يكون خير خلف لخير سلف بإذن الله .

• • •

وصلى الله تعالى على خير خلقه ؛ محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

• • •

ابتهال

شاعر طيبة : محمد ضياء الدين الصابوني(عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية)

إلهي قد أتيتك في خشوع ... وقد وهنت من الضعف العظام
وقفت ببابك المرجو أدعو ... وجف الدمع و احتبس الكلام
إلهي من يفرج عن فؤادي ... وقد حلت به الكرب الجسام ؟
قصدتك إنني عبد ذليل ... كثير الذنب ، مضني السقام
رجوتك و الخطايا غرقتني ... ولي أمل و قلبي مستهام
قصدتك يا كريم فلا تخيب ... و من قصد الكريم فلا يضام
و إني واثق غفران ذنبي ... ومن يرجى سواك و من يرام ؟
عرفتك منعما برا رحيما ... و تفعل ما تشاء و لا تلام
إلهي إن دعوت فلم تجبني ... فمن أدعو إذا اشتد الظلام ؟
أتاك المحسنون بكل خير ... وجئتك عاريا كلي أثام
مدحت حبيبك المختار أرجو ... شفاعته إذا حشر الأنام
أمين مصطفى للخير يدعو ... كضوء البدر زايله الغمام
فجد لي يا كريم بفيض عفو ... فمنك الجود و المنن الجسام
فرحمى الله أوسع من ذنوبي ... وتمحى السيئات إذا استقاموا
فإن تغفر و ترحم يا إلهي ... فأنت القادر الملك السلام

نظرة عابرة على حياة الفقيه الإسلامي : القاضي مجاهد الإسلام القاسمي

أنجبت القارة الهندية عبر القرون شخصيات إسلامية بارزة ؛ ورجال الفكر و الدعوة ؛ والعلماء الأعلام ، الذين قاموا بدور ريادي فاعل في مختلف المجالات ، ولعبوا دورا ملموسا في النهضة الإسلامية في العالم الإسلامي كله ، وكان الشيخ القاضي مجاهد الإسلام القاسمي ، من كبار رجالات الفقه ؛ والفكر؛ وقائدي الأمة – في السطور الآتية ؛ نلقي بعض الأضواء على حياته وجهوده العلمية وأعماله

[غطريف شهباز الندوي]

كان الشيخ القاضي رئيساً مفخماً لهيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند،الوصيف المتفق عليه ، المؤقر للأمة الإسلامية الهندية . وكان من مؤسسيها وناطقها ؛ ومن مؤسسي المجلس الملي لعموم الهند ومسئوله الأعلى (وهذا المجلس كان يدعو المسلمين إلى الوحدة على أساس كلمة التوحيد ويبث فيهم مشاعر التعاضد والتكافل والتكاتف ويحرضهم على التعاون في أمور الخير وللمشاركة في الشئون السياسية لصالح المسلمين ويدربهم على القيادة السياسية ويلقي بينهم بذور الوعي السياسي و الخدمات الاجتماعية) ، ومؤسساً لمجمع الفقه الإسلامي (الهند) ؛ وأمينه العام ، والعضو الواحد من الهند في مجمع الفقه الإسلامي العالمي بجدة ، والعضو لدى مجمع الفقه الإسلامي ؛ التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، وقاضي القضاة للولايات الثلاث : "بيهار" ؛ و "أريسة" ؛ و "جهاركهند" ، وممنوحاً جائزة قيادة الجماعة من قبل "منظمة الأمين التعليمية ببنغلور ، "وحاملاً جائزة الشاه ولي الله الدهلوي من قبل معهد الدراسات الموضوعية بدلهي ، والفائز بجائزة أبي الحسن علي الحسني الندوي من قبل"أفمي" (الاتحاد الأمريكي للمسلمين) ، وكان قد قام بزيارات علمية ؛ و أسفار دعوية إلى المملكة العربية السعودية ؛

و دولة الكويت ؛ ومصر ؛ والإمارات ؛ وأفريقيا الجنوبية ؛ وأمريكا ؛ وبريطانيا ؛ وإيران ؛ و باكستان ؛ و بنغلاديش ؛ و بخارى ؛ و سمرقند ؛ و بروناي ، و الدول أخرى .

ولد الشيخ في سنة ١٩٣٦م للميلاد في ولاية بيهار ، ويقال : إن أسرته كانت قد شغلت منصب القضاء في الحكم الإسلامي في الهند – وقد تشرفت أسرته بالإسلام منذ العهد الخلجي في الهند – .

وكان أبوه الشيخ عبد الأحد من تلامذة شيخ الهند محمود الحسن الديوبندي رحمه الله الأجلاء ، والذي أخذ العلوم عن شيوخ دار العلوم الديوبندية بدرجة امتياز ، وقد درّس إلى مدة غير قصيرة أمهات كتب الحديث في ولاية بيهار ، وكان يشغف بجانب التدريس بالخطابة والمجادلات العقيدية ، وامتاز في هذا المجال أيضاً ، وكان له اتصال روحي بشيخ الهند ؛ ثم بالشيخ محمد علي المونغيري ؛ مؤسس دار العلوم ندوة العلماء بلكناؤ (الهند) ، فظل كعضو للإمارة الشرعية إلى مدة طويلة ، وأما جده ؛ فكان له علاقة وطيدة بالحاج منور علي ؛ الخليفة الأجل للشيخ الكبير الحاج إمداد الله المهاجر المكي ؛ والمؤسس للمدرسة الإمدادية ، بجانب القرابة بالشيخ الحاج نفسه .

الشيخ مجاهد الإسلام بدأ التعلم في البيت ، ثم تعلم العلوم الابتدائية العربية في مدرسة محمود العلوم بـ"دملة" ، ومدرسة إمدادية بـ"دربنغة" ؛ ودار العلوم بـ"مئو ناتهـ بهنجن" ، ثم تشرف بالتلمذة على الأساتذة البارعين في دار العلوم الديوبند ؛ سنة ١٩٥١–١٩٥٥م من أمثال أستاذ الأساتذة العلامة البلياوي ؛ والشيخ حسين أحمد المدني ؛ والشيخ فخر الحسن المرادآبادي ؛ والشيخ محمد حسين البيهاري ؛ والشيخ إعزاز علي الأمروهوي ؛ والعلماء الآخرين الكبار ، وقد استفاد أيضاً من "رئيس

القلم" الشيخ مناظر أحسن الغيلاني عن طريق المراسلات وإصلاحات الشيخ على ما كان يكتبه الشيخ مجاهد الإسلام من مقالات وبحوث .

بعد التخرج في ديوبند ذهب الشيخ مجاهد الإسلام بإيعاز من الشيخ حسين أحمد المدني إلى الجامعة الرحمانية بـ"مونغير" ، وقام هناك بخدمات التدريس من الصفوف الابتدائية إلى العليا في فترة ما بين ١٩٥٩م و١٩٦٢م ؛ ثم بعد فترة عدة أعوام درس هناك لمرة ثانية إلى سنة كاملة في ١٩٦٩م ، وذلك تلبية لرغبة الشيخ منة الله الرحماني ، وقد درس سنن أبي داؤد ؛ وغيره من أمهات الكتب ، والجانب المهم في حياته التدريسية أنه درس الكتب الابتدائية بنفس الاهتمام الذي أظهره في تدريس الكتب الانتهائية العليا ، وبالطبع فارتسمت آثار عميقة بالغة في نفوس تلاميذه المبتدئين ؛ كما كانت في نفوس الطلبة المنتهين ، وتفرس صيرفي الرجال الشيخ منة الله الرحماني كفاءاته الموهوبة من جانب الله ، فسلم إليه قسم القضاء للإمارة الشرعية وإدارتها ، وذلك في وقت كان نظام الإمارة قد أصابها شلل ، وكانت دار القضاء يعوزها منذ زمن قاض ذو بصر ؛ وعارف بروح الشريعة ؛ والفقه الإسلامي يقوم بجدارة بما يتطلبه هذا المنصب الجليل ، فشغل هذا المنصب ، وظل منذ ١٩٦١م (الموافق لشوال ١٣٨١هـ) حتى آخر لحظة من حياته على منصب قاضي القضاة للولايات الثلاث : بيهار وأريسة وجهاركهند ، وتولى كذلك منصبا آخر كنائب أمير الشريعة للإمارة ، فتوسعت مجالات خدماته الدينية والشعبية ، وكان قد اتصل بمؤسسة الإمارة الشرعية في حين لا يتوفر للعاملين حصير للجلوس ، وقد انكمش إطار عملها في نطاق محدود ؛ في "بتنة" ؛ وبعض الأماكن الأخرى للولاية ، وكان بيت المال خاليا ، وتحددت نشاطات دار القضاء في "فلواري شريف" فقط ، وكان هناك دور للقضاء في مكان أو مكانين فقط ، وبعد أن

قدم هو وتولى منصبه تفضل بجهوده الشيخ نظام الدين ؛ أمير الشريعة الحالي ؛ وتولى الأمور الإدارية ، ثم حاول وبذل جهوده ما أمكن لتوسيع نظام القضاء ؛ وإقامة دور للقضاء في أكثر الأماكن ، وقام بإعداد رجال أكفاء لهذا العمل المهم الخطير ، وقام بزيارات إلى قرية بعد قرية ؛ وربطها بنظام الإمارة ؛ وأقام المدارس الابتدائية ، وقام بتسوية النزاعات القائمة منذ زمن طويل بين الناس ؛ والتي انتهت في ثوان ، وأفادت هذه الرحلات والزيارات لدرجة أن ازداد ارتباط جماهير الأمة وخواصها بالإمارة ، ونشطت كافة أقسام الإمارة ، وتوافرت الخصومات والدعاوي والشكاوي إلى دار القضاء ، وانهالت التساؤلات على دار الإفتاء ؛ وقوى بيت المال ، وكل ذلك ساعد في إيجاد جو حر ؛ ومستقل للتعليم بين الجماهير المسلمين ، وصارت الإمارة الشرعية على نطاق بيهار وأريسة كصوت ناطق باسم المسلمين ، الأمر الذي دفع الحكومات الإقليمية إلى أن تقيم لها وزناً؛ وأهمية تستحقها ، فلم تجد السلطات بداً من الارتماء على أقدام هؤلآء الفقراء .

وقد أدّت الإمارة الشرعية بقيادة هؤلآء الشيوخ دوراً كبيراً جريئاً لا مثيل له في الهند في التعاون السياسي ؛ والقانوني ؛ والمالي ؛ والأخلاقي للمسلمين المقهورين المضطهدين من جراء الاضطرابات الطائفية والقمعية بالنسبة للمسلمين في ولاية بيهار ، وكذلك ما عملت الإمارة ومسئولوها صباح مساء في كارثة "بهاغلفور" ، العملية المبيدة من قبل الشرطة بتعبير صحيح ، مضحين براحتهم ، من توفير أسباب الراحة للمصابين وتهدئة الأجواء ، يمثل نموذجاً عالياً لخدمة المسلمين ، وفي هذه الأعمال كلها ، كما أن هناك يداً كبيرةً للإشراف العطوف لأمير الشريعة الرابع عليها ؛ وكان ذلك نتيجة التخطيط الناجح والمبادرة ؛ وحسن التدبير للشيخ القاضي ؛ وللجهود المتواصلة ؛ والمحاولات الجادة لأمير الشريعة الحالي ؛ وجو

الاعتماد والثقة القائم بينهما ، دور كبير في ذلك

وبالرغم من أن رعاية الشئون الخيرية العامة كانت من جملة أهداف ومقاصد الإمارة الشرعية لكنها كانت تنحصر في النشاطات الإسعافية والخيرية المحلية فقط ، وبدعوة من الشيخ مجاهد الإسلام تم إعداد مشروع مستشفى الشيخ سجاد ، وبذل جهوده الكبيرة في تخطيطه ؛ ثم تهيئة وتوفير الوسائل اللازمة له ؛ وتجسيده بتعاون الزملاء والرفاق ، وهكذا تم إحياء سنة جديدة حسنة في مجال خدمة الجماهير على الأسس الإنسانية ، وقد أصبح اليوم ذلك المستشفى في ولاية متخلفة جدا كبيهار وسيلة كبيرة للمعونة الطبية العصرية للفقراء والبائسين ، ومع أن فترة أمير الشريعة الخامس الشيخ عبد الرحمن كانت قصيرة جدا إلا أنها كانت عهدا تذكاريا بالنظر إلى الإنجازات الرائعة الإيجابية المتأصلة الجذور التي تمت من غير إعلان ولا دعاية ، ففي عهده عنيت الإمارة بتزويد الشباب المسلم بالتعليم المهني ، والذي ابتدأ بعد أن أنشئ مركز منة الله الرحماني المهني بـ"فلواري شريف" ، الذي له دور كبير وإسهام جيد في توفير أسباب الوظائف لمآت من الشباب المسلم ، واليوم قد أقامت الإمارة عدة مراكز ومؤسسات كهذه في "دربنجة" ؛ و "ساهي" ؛ و "كتيهار" ؛ و "أريسة" ، وتحاول للمزيد في الأمكنة العديدة ، والحقيقة أن القاضي مجاهد الإسلام هو الذي كان يقف وراء هذا النظام المهني كله في تخطيطه أولا ؛ ثم تهيئة الأجهزة اللازمة ، وتوفير الرجال الأكفاء له ، ولا ينكر أحد ما قامت به الإمارة الشرعية من خدمات جليلة في الظروف العصيبة بسبب الاضطرابات الطائفية ؛ والفيضانات الجارفة ، وكذلك من نصب المخيمات الطبية الإسعافية من قبل الإمارة الشرعية لمواجهة المرض الأسود الذي اكتسح شمالي "بيهار" كله ، فكان مأثرة وحسنة كبيرة انتفع بها الكثيرون من

المضطرين والبائسين ، وهدف الأمير الرابع للولاية بخاصة إلى توسعة نظام القضاء ، والواقع أن التوسع في هذا النظام الذي حصل في عهده في الولاية وخارج الولاية جانب مشرق من تاريخ الإمارة ، وفي هذه الحركة التوسعية كما أن هناك دورا كبيرا لتوجيهات ورغبات أمير الشريعة الرابع ؛ و المواهب الإدارية لأمير الشريعة السادس ؛ والحالي كان للقاضي أيضا دور مشهود ، فكان لسان حالها وذهنها المفكر وروحها العاملة ، وبعد توليه منصب الأمير قد عقد أمير الشريعة الرابع مخيما تربويا للقضاء في زاوية الرحماني بـ"مونغير" ، حضره العلماء الكبار ؛ وأرباب الإفتاء من الولاية كلها ، وعقد المخيم الثاني لتربية القضاء في الإمارة الشرعية بـ"فلواري شريف – بتنة" ، و اشترك فيه أهل العلم المنتمون إلى مدارس الفكر المختلفة من الولايات المختلفة بالإضافة إلى علماء "بيهار"، والقاضي مجاهد الإسلام ؛ هو الذي قام بتخطيط هذا المخيم التربوي ؛ وبتفهيم مسائل ؛ ومشكلات القضاء ؛ وتربية الإفتاء ، ولا شك أن كان لهذا المخيم التربوي تأثير بالغ كبير ، وبسببه تم تكوين نظام القضاء فعلا في الأمصار ؛ والمدن المختلفة بالإضافة إلى جانب بيهار .

لكن من البديهي الظاهر أنه لا تتم عملية إعداد الرجال بالبرامج المؤقتة كهذه فشعورا بالواقع قد خطط الشيخ القاضي لإنشاء مؤسسة تربوية مستقلة باسم : "المعهد العالي للتدريب في القضاء والإفتاء" تحت إشراف الإمارة نفسها ، والذي يسير الآن مسيرته الناجحة ؛ ويحتل مكانة المركز الممتاز لتربية القضاء ؛ والإفتاء في كافة أرجاء الهند ، وإضافة إلى ذلك هناك أعمال جليلة للدعوة ؛ وخدمة المسلمين في مجال الاحتفاظ بالنسل والمال ، والمشورة القانونية ؛ وإصلاح الأحوال وغيرها تمت على يديه بواسطة الإمارة الشرعية .

ومن الواقع الذي لا يجحد أن كان لا نظير له في معاصريه في ملكته الموهوبة في فهم القوانين الشرعية وتفهيمها تفهيما عقليا ومنطقيا ، ولذا كان يلعب في إثارة وإبراز حركة الأحوال الشخصية الإسلامية ؛ ومنذ بدايتها دورا جادا ونشيطا ، فلما ثارت قضية قانون المتبنى عام ١٩٧٢م ، وطلب الشيخ المقرئ محمد طيب ؛ عميد دار العلوم الديوبندية الأسبق المؤتمر الأول لقادة الأمة وعلمائها ؛ ومفكريها على نطاق الهند على موضوع الأحوال الشخصية الإسلامية ، وقع اختيار هؤلآء الشيوخ الأجلاء على القاضي المذكور ، فأقام شهرا كاملا في محيط دار العلوم الديوبندية ، وقام بترتيب مشروع البحث والنقاش الشمولي لجميع جوانب ونقاط ، لقانون الأحوال الشخصية الإسلامية التي كانت مستهدفة خاصة من قبل المعاندين ، ومن هنا ابتدأت الاستعدادات لمؤتمر "ممبائي" للأحوال الشخصية الشهير ، وكان الشيخ القاضي عضوا من المجلس الداعي لذلك المؤتمر .

والمؤتمر العظيم الذي تم عقده في ممبائي ؛ حول قضية الأحوال الشخصية الإسلامية كان مثالا للوحدة ؛ والتضامن الإسلامي الذي لم يشهده التاريخ بعد حركة الخلافة ، وكان للشيخ القاضي دور بارز ريادي لإعدادات المؤتمر ؛ وتمهيد الجو المناسب له ، ثم ظل عضوا تأسيسيا لهيئة الأحوال الشخصية بعد تأسيسها .

كما كان عضوا بارزا في المجلس التنفيذي لها منذ بداية الأمر ، وعند ما انتخب الشيخ منة الله الرحماني أمينا عاما للهيئة ؛ فكان مساعدا دائما له ، ولسانا لمؤتمر الهيئة ، وفي حركة الاحتفاظ بالشريعة الإسلامية النابعة من قضية "شاه بانو" قد قام بجولات واسعة لعموم الهند ، ثم لما انتقل الشيخ منة الله الرحماني إلى رحمة الله ؛ فكان الرأي العام أن الشيخ القاضي هو أصلح ما يكون لمنصب الأمين العام ، ثم كان له دور بارز أيضا في

النهوض بالهمم المستكينة المنخفضة للجماهير المسلمة بعد حدث هدم المسجد البابري ، و وضع البلسم على القلوب الجريحة لهم .

وبعد أن انتقل مفكر الإسلام سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ؛ الرئيس الثاني للهيئة إلى جوار الله تعالى صار الشيخ القاضي – وبالرغم من مرضه المؤلم المزمن – محط الآمال ومناط رجاء لجميع مسلمي الهند ، ولذا تم انتخابه كرئيس ثالث للهيئة باتفاق الآراء ، وبعد توليه منصب الرئيس للهيئة قد بذل عناية خاصة واهتماما كبيرا لتفعيل الهيئة ؛ وتنشئة أعمالها ؛ وتجهيز المكتب الرئيسي لها بالتسهيلات العصرية ، وإقامة مكتبة متميزة تحوي كتبا مفيدة على مواضيع هامة متعلقة بالفقه الإسلامي ؛ و القوانين العامة ؛ والأحوال الشخصية الإسلامية .

والخطبة التي ألقاها في مؤتمر "بنغلور" بعد توليه منصب الرئيس جديرة بالكتابة بماء من الذهب في تاريخ الهيئة ، دعا فيها الشيخ قيادات أسرة "سنغ" الهندوسية الطائفية خاصة ، والمواطنين عامة إلى الإسلام الحنيف ، والصدق الآفاقي ، والتلبية للنداء الرباني بصراحة وصرامة ، وقد قامت الصحف الأردية ؛ والإنجليزية ؛ والإعلام الإلكتروني بإيصال هذا الصوت الجريئ بطريقة بارزة إلى الشعب الهندي .

وهناك أحزاب وجماعات مسلمة مختلفة فاعلة في مختلف المجالات ، وبعضها سياسية ، لكن من سوء حظنا أن فكرة المصالح السياسية على حساب المصالح الدينية قد أحدثت فجوات بينها ، كأنها حافتان للنهر ، فكلها تحمل راية علو الأمة لكنها تحرم روح التوافق والتضامن والتكاتف لأجل أوسع مصالح الأمة ، وهناك منظمات دينية غير سياسية تتبنى تمثيل القضايا الشعبية والدينية ، لكن لكونها تحمل نظرية خاصة ؛ ولها خلفية دينية خاصة ، تمثل فقط جماعة خاصة للمسلمين لا علاقة لها بالجماهير المسلمة ،

بل هناك تنافر شديد بينها يؤدي في أكثر الأحايين إلى تكفير ؛ وتفسيق بعضهم لبعض ، والحال أن الجماهير المسلمة لا تنتمي إلى أية حركة وجماعة ، وهؤلاء مسلمون سذج مترفعون عن العصبيات المذهبية والحزبية .

وهيئة الأحوال الشخصية الإسلامية ربطت هذه الأحزاب بها في نطاق حملة الاحتفاظ بالشريعة ، لكنها لأجل أن لا تتأثر وحدة الهيئة من جراء الخلافات الفكرية لم تستهدف القضايا التي تواجهها الجماهير المسلمة في المجالات السياسية ؛ والتعليمية ؛ والثقافية ؛ والمعيشية ، وقد تم تشكيل مجلس باسم المجلس الاستشاري لعموم الهند عام ١٩٦٥م لهذا الغرض ، لكن بسبب تحزب الجماعات وحرمانها من القيادات المخلصة والفعالة تدريجيا ؛ وببعض النقائص الدستورية ؛ وانفصال بعض المنظمات الهامة عن هذا الاتحاد صار المجلس رسميا واسميا فقط ، ولم يبق له دور فاعل في تمثيل المشكلات ؛ والقضايا التي تهم الأمة .

وشعورا بهذا الفراغ قام الشيخ بتشكيل ؛ وتأسيس المجلس الملي لعموم الهند عام ١٩٩٢م ، جمع فيه الكفاءات والصلاحيات المختلفة من كافة أنحاء البلد ؛ واستهدف النهوض بالأمة في جميع المناحي ؛ والجهات تحت مشروع شامل ، فيرمي المجلس الملي أساسيا إلى توحيد الصف المسلم على أساس الكلمة الواحدة ؛ وتقوية العمل الإصلاحي المادي ؛ والقيام بالأعمال الإصلاحية أينما احتيج إليها مباشرا أو غير مباشر ، وربط النشاطات المتماثلة التي تم من قبل الجهات المختلفة بعضها ببعض .

والواقع أن المجلس الملي قد قام بإعداد فرقة شبابية ذات حيوية وكفاءة ، وتنشئة الكفاءات المختلفة الكامنة حسب الضرورات المختلفة للأمة ، وذلك بناء على الوحدة مكان التنافر ؛ وعلى التعاون لا التصادم ، الأمر الذي له تأثير بالغ وبعيد المدى ، وعلى ذلك فإن إنجازات المجلس من

إلغاء قانون "تادا" ؛ وتوحيد الصوت المسلم في غمار السياسة الانتخابية ؛ وتوجيه المسلمين بمناسبة الإحصائيات الرسمية ؛ وترقيتهم في مجال التعليم تشكل صفحة رائعة للتاريخ الديني المعاصر في الهند ، وقد تم ضمن ذلك محاولة جادة على نطاق الهند باسم قافلة الحرية ؛ وقافلة الوحدة ، ولا يخفى على أحد أن القلب الذي كان يتململ والعقل الذي يفكر ؛ والصوت الجاذب الذي يوقظ النائم ؛ وينطلق بالجامد للسير والمضي إلى الأمام ، وراء كل هذه المحاولات كان هو الشيخ القاضي ، فإنه هو الذي جمع أناسا ذوي انتماءات مختلفة ؛ وذوي أفكار وطبائع مختلفة ، متكاتفين في رصيف واحد ، وبالرغم من أنه قد خمدت الحماسة ؛ والروح المستقلة في نشاطات وفعاليات المجلس التي ظهرت وقت تأسيسها إلى حد كبير بسبب مرض الشيخ القاضي المزمن المهلك ؛ ولتساهل بعض المسئولين ؛ لكن المجلس لم يفقد حتى الآن أهميته وثقته ، وعلى كل حال فإن منجزات المجلس صفحة بيضاء مشرقة للخدمات الدينية .

و من أبرز خصائص الشيخ القاضي أنه كان يتمتع بكفاءة المبادرة ، فدائما ينظر إلى الأمام ؛ و يتخذ خطوات مناسبة للمضي ؛ والتقدم بالأمة في جميع المجالات ، وكذلك فاق معاصريه ؛ وأقرانه من العلماء المبرزين بتمتعه ببصيرة سياسية نفاذة ، فكان يتوصل في لحظات إلى مغزى ما تقوم به الأحزاب العلمانية ؛ والفاشية الهندوسية المتطرفة من مطالبات مختلفة تمس كرامة الأمة ؛ وتلحق بها أضرارا جسيمة ، مثلا مطالبة تنفيذ قانون مدني موحد ، وإلغاء بند/٣٧٥ من الدستور الهندي التي تعطي ولاية كشمير خصوصية ؛ وبناء "معبد راما" على مكان المسجد البابري الذي قد هدمته تلك القوى الطائفية الفاشية بإيعاز وتعاون الحكومة المركزية ، والخصيصة الثالثة التي ميزته من بين جميع الأقران والمعاصرين هو ترفعه وتعاليه عن سائر

التعصبات والخلافيات المذهبية والحزبية ، فكان يعمل دائما لإيجاد التضامن والتوافق والوحدة في صفوف الأمة ؛ ومدارسها الفكرية المختلفة ، ويسير بهم جميعا إلى رصيف الوئام ؛ والاتحاد بغير ما تذبذب ولا ريبة ، ولهذه الخصائص تنعى له الأمة الإسلامية الهندية اليوم ، لأنه لا أحد يملأ هذا الفراغ القيادي الهائل الذي ظهر إثر وفاته رحمه الله .

وإعداد الرجال كان هواية خاصة به ، وقد أعاره عناية كبيرة في الإمارة الشرعية ؛ ومنذ أول يومه فيها ، فكم من قضاة شر عين تربوا على يديه فرديا ؛ ويشغلون مناصب القضاء الآن في المناطق المختلفة للبلد .

وقد قام في الماضي القريب بتشكيل وتأسيس مؤسستين أدتا دورا كبيرا في تربية شباب المدارس العربية وخريجيها ، أولهما مجمع الفقه الإسلامي الذي لعب دورا كبيرا وتاريخيا في حل مشكلات العصر في ضوء الكتاب والسنة عن طريق الاجتهاد الجماعي ، وتسهيل السير للأمة المسلمة على درب الشريعة الإسلامية في عصرها هذا ، ولا شك أن الشيخ القاضي عالج في ندوات فقهية عديدة عقدها المجمع في أماكن البلاد المختلفة عددا كبيرا من القضايا المعقدة المتعلقة بمختلف مجالات الحياة من الاجتماع ؛ والاقتصاد ؛ والأسرة ؛ والطب ؛ وما إلى ذلك ، وكل هذه المعالجات والمداولات الفقهية كانت تتصف بالدقة ؛ والعمق ؛ والوسطية ، كما أن هذه الندوات الفقهية ؛ والبحوث المقدمة فيها أوجدت على موضوعات عصرية وثائق شرعية قيمة في شكل مجلات فقهية ؛ وتعتبر ثروة رائعة في المكتبة الإسلامية .

ولم تكن مجهودات المجمع وفعالياته محدودة في حدود الندوات الفقهية فحسب ؛ بل إنه قام بإعداد جيل جديد ؛ وتربيته على حل قضايا العصر ، فقد شهدت الهند بفضل جهود الشيخ القاسمي في المجمع ظهور نخبة

ممتازة في الشباب المثقف ؛ يفكر ويكتب على موضوعات العصر ، وهذه المجهودات الطيبة قد أوجدت إلى جانب ذلك تقريبا بين صفوف المسلمين المنتمين إلى مذاهب فقهية مختلفة ، لذلك ينخرط في سلكه اليوم أصحاب العلم ؛ والباحثون من كافة أنحاء البلد .

وإلى جانب ذلك قام المجمع بترجمة الموسوعة الفقهية الصادرة من وزارة الأوقاف بدولة الكويت إلى اللغة الأردية ، وكان الشيخ القاسمي يشرف بنفسه على هذا المشروع ، وقد أكمل في حياته ترجمة أربعين جزء من الموسوعة ، كما قام المجمع بترجمة قرارات المجامع الفقهية الدولية ، وترجمة الكتب الفقهية القيمة إلى الأردو .

ونظرا إلى التقدم التقني قام المجمع الاستفادة من الكمبيوتر ؛ والإنترنت ؛ وإرشاد الأمة المسلمة في قضاياها عن طريق الإنترنت .

ولا شك أن المجمع قد ساهم كذلك في إبراز الصلاحيات الكامنة ؛ والتعريف بأهل العلم الخاملي الذكر ؛ وإيجاد حماسة ؛ وعاطفة علمية جديدة في قلوب العلماء ، وبجانب ذلك أوجد رصيفا ؛ وفتح قنوات للتبادل العلمي بين علماء الهند وخارجها .

وثانيهما : إقامة "المعهد العالي للتدريب في القضاء والإفتاء ؛ التابع للإمارة الشرعية" والذي يوفر نظاما معينا ؛ ومستقلا للتدريب في القضاء والإفتاء ، ويكتسب عن طريقه طلاب العلم الواردون من جميع أرجاء البلد مناهج صحيحة للإفتاء والقضاء ، فالمؤسستان كلتاهما تعكسان فكرة الشيخ القاضي المستقبلية اللامعة ، وتم بهما مع قصر فترة إنشائهما عمل صالح جدير بالتنويه لإعداد الرجال ، والمرجو أن يكون لهما أثر بالغ ؛ وبعيد المدى في المستقبل – إن شاء الله تعالى – .

صور و أوضاع :

بين عدل القضاء ومصلحة السياسة

الأستاذ واضح رشيد الحسني الندوي

إن انتشار الفساد وتصاعد نسبة الإجرام في العالم اليوم أمر لا ينكره من له إلمام بمجريات الأمور والأحداث ، ويتابع الصحف ، و وسائل الإعلام الأخرى ، وقد أصبح القتل الجماعي والاعتداء الجنسي ، ونهب الأموال ؛ واستغلال القوى للضعيف ؛ والتضليل والتزوير للمعلومات ؛ والاعتداء على من يتعارض في الفكر والرأي ظاهرة عامة ، ولا يرجع ذلك إلى الجهالة ، أو الفقر كما كان يدعى رجال التربية والأخلاق في الماضي ، و إنما يرجع إلى العلم والمال ؛ و وسائل الإعلام الغاشمة ؛ ودور العلم ؛ ودور المال ما يؤدي إلى بلبلة فكرية ، وصراع بشري على عكس ما كان يتصوره العقلاء في الماضي ، وقد انتقل هذا العنصر من الطبقات الأدنى ، إلى الطبقات العليا فتفاقم الأمر لمعرفتها بوسائل الإفساد ، وبراعتها في تحوير الكلام و التصنع ، وصلاحيتها لإثبات أن ما تفعله صلاح ؛ وما يفعله غيرها فساد ، وأن قتلها إحياء ، وإحياء غيرها قتل ؛ وسهلت هذا العمل وسائل الإعلام التي يسيطر عليها أصحاب السلطة ؛ وأصحاب رؤوس الأموال .

ويرجع سبب سرعة انتشار هذا العنصر ، وسيادته في العالم إلى تولى العناصر التي نشأت في جو الفساد ، زمام الأمور وممارستها لهذه الطرق الإفسادية والإجرامية فيعم الفساد على جميع المستويات .

كان الوصول إلى مناصب الحكم في الماضي يتطلب صلاحيات

ومؤهلات ، وكان البقاء في الحكم يتطلب براعة وحكمة ؛ أو مؤهلات علمية ؛ أو خلفية تاريخية ؛ أو خدمة ، لكن اختلفت هذه الوسائل في العصر الحاضر ؛ و تيسر الوصول إلى المناصب العليا ، باستغلال وسائل تعبئة الرأي العام ، أو صرف المال ؛ وشراء التأييد أو قمع المنافس .

يشاهد في مختلف أنحاء العالم وصول عناصر إلى مناصب الحكم ؛ وتبرير وصولها في استفتاء أو انتخاب ؛ ويعتبر ذلك ، الطريق الشرعي الشعبي لتولى الحكم ، و يعرف العالم حقيقة النتائج المعلنة ، ولكن الذي يصل إلى الحكم يجبر على قبول تلك النتائج ، و قد شكا أحد المعلقين في مجلة إنجليزية بارزة ، أن سبب تخلف كثير من البلدان في العالم ؛ وعدم تطورها يرجع إلى عدم توفر الانتخابات الحرة ، فتبقى هذه البلدان متخلفة رغم ارتفاع نسبة العلم ، ورغم تحسن الحالة الاقتصادية .

و الهند ؛ هي أكبر دولة ديموقراطية في العالم تجرى فيها انتخابات حرة ؛ ولا يشك أحد في حريتها ؛ ولذلك يتغير الحكام في الهند في فترات قصيرة ؛ ولهذه الانتخابات لجنة حرة ؛ لا تتدخل في نظامها الحكومة ، ولكن رغم هذه الحرية دخل الفساد في هذا النظام عن طريق حرية الانتخابات نفسها ؛ لأن الدستور الهندي لا يفرض على الناخب ، و لا على المرشح أي شرط أو التزام بمبادئ ، سوى كونه بالغا ؛ وكونه مواطنا شرعيا .

فصارت هذه الحرية مصدرا لفساد ، أو مصدرا لتسرب الفساد إلى نظام الحكم .

وقد شكا رئيس وزراء الهند المستر باجباى أثناء الانتخابات العامة السابقة أن السياسة اليوم صارت إجرامية لوصول المجرمين عن طريق الانتخابات إلى السياسة والحكم ، ودلت التقديرات بعد الانتخابات على أن ثلث الأعضاء المنتخبين ؛ ومنهم وزراء يحملون سجلا إجراميا ، وعليهم

قضايا في المحكمة ؛ و في البوليس ، و بانتخابهم أصبحوا في نجوة من المؤاخذة .

وقد أشارت المحاكم الهندية إلى هذا الاتجاه في عدد من أحكامها ، و أخيراً اتخذت اللجنة القومية للانتخابات قراراً بفرض قيود على المرشحين ؛ فأصدرت أمرها بالتزام المرشحين بأن يقدموا تفاصيل عن حياتهم الشخصية ، حتى مستوى تعليمهم ؛ و مصدر دخلهم ، و بدون ذلك لا يسمح لهم بخوض معركة الانتخابات .

كان المقصود من هذا الإجراء منع المجرمين من الوصول إلى الحكم ؛ أو السياسة ؛ وتطهير السياسة القومية من العناصر الإجرامية ؛ وقد صرح المسئولون عن الأمن عدة مرات أن تدخل السياسيين في أمور إقرار الأمن والنظام ؛ ومؤاخذة المجرمين هو السبب الرئيسي لفساد النظام ؛ وعجز المسئولين عن الأمن عن تأدية واجباتهم ؛ واتخاذ إجراءات رادعة ، وشكوا أن المجرمين يجدون ملاذا عند السياسيين ، فكان يستحق هذا الحكم الاستقبال والترحيب به ، وقد رحبت به دوائر مختلفة تحب سيادة القيم الخلقية ، وإصلاح النظام من الفساد السياسي والإداري ، ولكن الدوائر السياسية التي تعودت على الاعتماد على هذه العناصر أثارت ضجة ؛ وعارضت فرض هذه القيود .

ورفضت الأحزاب السياسية في اجتماع مشترك القيود التي فرضتها لجنة الانتخابات ، وأوضحت أن هذه القيود ستعقد نظام الترشيح ، ولا يخفى على أحد أن سائر الأحزاب السياسية ؛ تشتمل على عناصر يشك في سلوكياتها ، وشارك هذا الهم الحزب الحاكم ؛ فتقرر في الاجتماع تقديم مشروع قانون في البرلمان لتجنب هذه القيود ، وقد أعدت مسودة للمشروع في عجلة علقت عليها الصحف الهندية بأن هذا القانون سيؤدي إلى صراع بين القضاء وبين الحكومة .

إن هذه المخاوف التي أبرزتها الأحزاب السياسية تدل على تلوث هذه الأحزاب ، وانغماسها في المخالفات الخلقية ، وإلا لما كان هناك أي داع إلى معارضة هذه القيود إذا كانت نزيهة ، والذي لا ذنب له لا يخاف الحساب ، ويثبت ذلك تورط عدد من الوزراء في الفضائح .

ولرعاية حقوق السياسيين ؛ واحتمال مخالفاتهم الخلقية ؛ مثال آخر من فرنسا .

كتبت مجلة "إكونومست" بعنوان : "العدل في فرنسا" ؛ الليونة مع السياسيين والخشونة مع الآخرين ، كتبت تقول : إن الحكومة الجديدة ربما تعامل بعض المجرمين بليونة أكثر من غيرهم ، ولكنها أعربت عن مخاوفها بأن هذه الليونة في المؤاخذة ؛ ربما تتجه إلى السياسيين المتهمين بالفضائح المالية ؛ وذلك للاستعانة بهم في الانتخابات .

و كتبت المجلة أن آلافاً من المخالفين للقوانين الفرنسية من المرور إلى دفع الضرائب يقضون فترات السجن ، وهم يستحقون عفو الرئيس الفرنسي شيراك بموجب مادة/١٧ من الدستور ، ولكن يخشى أن يتمتع بهذا العفو الرئاسي رجال الطبقة السياسية العليا ؛ الذين اتهموا بالفضائح المالية .

إن هذا التمييز بين المجرمين ، والتفرقة بين الطبقة العليا ؛ والطبقة الأدنى ، وبين الحكام والرعية ، وبين الحكومة والشعب ، وتبرئة المجرمين إذا كانوا ينتمون إلى رجال الحكم ، أو الأحزاب السياسية ، أو لهم دور في إنجاح المرشحين السياسيين ، فضلاً عن التمييز بين الصالح والفاسد ، والحق والباطل ؛ هو أساس الفساد في هذا العالم .

و على هذا الغرار تعارض الولايات المتحدة المحكمة العالمية للجرائم ، فقد ظلت هذه المسألة معلقة لمخالفة أمريكا التي تتدخل اليوم في شئون العالم كله ، وتستخدم القوة من غير مبالاة للخسائر البشرية ، وقد ارتكبت قواتها العاملة باسم الأمن مخالفات لحقوق الإنسان في عدة بلدان ،

فتخاف أمريكا الإدانة من قبل هذه المحكمة .

و طالبت بأن تستثنى قواتها الأمنية من مؤاخذة هذه المحكمة الدولية ؛ وللضغط على هذه المطالبة أنها هددت باستخدام حق النقض ضد تمديد دور قوات الأمن في البوسنة ، في الأمم المتحدة .

وتفيد التقارير الأخيرة أن أمريكا طلبت باستثناء قواتها العاملة في العالم الخارجي لإقرار الأمن من مؤاخذة هذه المحكمة على الأقل لمدة سنة ، كذلك معاملة أمريكا مع السجناء الذين لا تعتبرهم أسرى الحرب ، فلا تمنحهم الحقوق المضمونة في المواثيق الدولية لأسرى الحرب ، فتقوم بأبشع أنواع التعذيب والتنكيل ، وتستخدم الوسائل الوحشية في الاستجواب ؛ مخالفة للقوانين الدولية كذلك موقفها إزاء إسرائيل التي تحميها في كل مخالفة للقوانين الدولية ؛ وحقوق الإنسان موقف يتعارض مع مصلحة العدل والقضاء ، وحقوق الإنسان لأنها هي الدولة الكبرى في العالم التي تستطيع أن ترفض سائر القيم الخلقية إذا خالفت مصلحتها ، وهذه هي العقبة الكبرى في إقرار العدل في العالم .

وهناك دول لا تتوفر فيها الحرية السياسية ؛ ولا يجري فيها التنافس بين المرشحين ؛ وينتخب فيها الرئيس في استفتاء بنتائج مفروضة ؛ وتبقى هذه الحكومات كما يرغب فيها الرئيس ؛ فلا تخاف هذه الحكومات على ما ترتكبه من تعسفات أي مؤاخذة من الشعب المسكين ، ومن يغامر بإبداء الرأي يتعرض لعقاب أليم ، ويجد المتذيلون بها كل حصانة مهما خالفت تصرفاتهم لرغبات الشعب ، والمحاكم في هذه النظم مؤممة لا ترتبط بعدل القضاء ؛ وإنما ترتبط بمصلحة السياسة ؛ ولا يسمح فيها للمتهمين بالدفاع عن أنفسهم ، وهو وضع لا يتفق مع حقوق الإنسان المضمونة في ميثاق الأمم المتحدة ؛ ولكن واقع العالم المعاصر يعاني من هذا الصراع رغم جميع دعاوى حقوق الإنسان .

الدورة السادسة عشرة
لهيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند

قلم التحرير (س.ا.)

عقدت الدورة السادسة عشرة لهيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند في مدينة حيدرآباد الهند ، باستضافة من دار العلوم حيدرآباد ، في الفترة ما بين ٢١-٢٣/يونيو ٢٠٠٢م ؛ ١٠-١٢/من شهر ربيع الثاني ١٤٢٣هـ ، نوقش فيها موضوع انتخاب الرئيس العام الجديد ، ذلك أن هذا المنصب ظل شاغرا منذ وفاة رئيسها الثالث ؛ فضيلة الشيخ القاضي مجاهد الإسلام القاسمي ؛ الذي كان قد تولى منصب رئاسة الهيئة بعد وفاة رئيسها الثاني ؛ سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله) في عام ٢٠٠٠م .

والجدير بالذكر أن هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية أنشئت في اجتماع عام للعلماء والفقهاء ؛ والمثقفين المسلمين في البلاد ؛ عقد في مدينة بمبائي الهند ، منذ ثلاثين عاما ، وقد اختير رئيسها بالإجماع فضيلة الشيخ المقرئ العلامة محمد طيب القاسمي ؛ رئيس الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند ؛ وأمينها العام فضيلة الشيخ العلامة محمد منة الله الرحماني ؛ رئيس الجامعة الرحمانية في مدينة "مونغير" بولاية بيهار ؛ فكانت الهيئة تقوم بنشاطاتها الإسلامية ؛ والإصلاحية ؛ والتربوية بقيادتهما ، وتتناول القضايا الإسلامية بالدراسة والاهتمام ، لأن الهيئة كانت قد كسبت اعتبارها ؛ و وزنها في جميع الطبقات ؛ وعلى المستوى الحكومي كذلك ، ولما تولى سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ؛ منصب الرئاسة بإجماع من جميع أعضاء الهيئة بعد وفاة رئيسها الأول ، توسع نطاقها إلى الاهتمام بقضايا المسلمين العائلية ؛ و الدينية التي كانت المحاكم المدنية تحكم

فيها بما يخالف رؤية الشريعة الإسلامية ؛ فقد قابل سماحة العلامة الندوي المسئولين عن الحكومة الهندية ؛ وأوليائها ، كلما حدثت مخالفة صريحة في أي قضية إسلامية حكمت فيها المحاكم المدنية ، وطلب منهم التعديل في الحكم بحسب الشريعة الإسلامية ، وقد نجح في ذلك أيما نجاح ، ومن هنالك كسبت الهيئة هيبة ؛ وتقديراً كبيراً في الدوائر الحكومية .

كما أن فضيلة الشيخ القاضي مجاهد الإسلام القاسمي ؛ الرئيس الثالث للهيئة سار على غرار أسلافه الكرام ؛ واتخذ طريقهم نحو حسم المعاملات والقضايا ، و رفض كل ما يأتي ضد روح الشريعة الإسلامية سواء على المستوى الشعبي ؛ أو الحكومي .

وقد تم ؛ والحمد لله ، انتخاب الرئيس الرابع للهيئة في الدورة السادسة عشرة الحالية في اجتماع لأعضاء الهيئة المسئولين ، رأسه فضيلة الشيخ محمد سالم القاسمي ؛ رئيس جامعة دار العلوم ديوبند (الوقف) .

الذي قدم اسم سعادة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ؛ رئيس ندوة العلماء العام لرئاسة الهيئة ، و وافق عليه جميع الأعضاء بالإجماع ، وذلك رغم أن سعادته كان قد اعتذر عن قبول هذا المنصب المهم للهيئة ، ولكن إصرار المجتمعين قد غلب على اعتذاره ، ولم يكن منه إلا السكوت ، فاستبشر المجتمعون ، وقدموا إليه آيات التهاني والتبريك على هذا المنصب المهم الذي جاء إليه عفواً من غير طلب أو طمع فيه .

وفور ما تم الانتخاب أحدق به المراسلون ؛ و الصحفيون ؛ و المسئول عن الوسائل الإعلامية ، وأجروا معه مقابلات صحفية ، وأذيع الخبر على المستوى العالمي ؛ وانهالت عليه إثر ذلك رسائل ؛ وبرقيات التهاني من جميع أنحاء الهند وخارجها ؛ ولا تزال .

نرجو الله سبحانه و تعالى أن يسهل عليه هذا المنصب المهم ؛ ويوفقه إلى أداء مسئولياته في جميع مجالات العمل والنشاط ، ويجعله سبباً

لإنجاز ما قد بقي من العمليات الإصلاحية في ضوء الكتاب والسنة في جميع مجتمعات ؛ وطبقات المسلمين في الهند بوجه خاص ، والأمين العام للهيئة هو فضيلة الشيخ السيد نظام الدين ، أمير الإمارة الشرعية لولايات بيهار وأريسه وجهارخند ، منذ أيام سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، فقد كسبت الهيئة في عهده صيتا طيبا ؛ وأفادت من عمله وتدبيره وبُعد نظره في الأمور كلها . (والله ولي التوفيق)

مجمع اللغة العربية يختار الدكتور محمد أجمل الإصلاحي الندوي عضوا مراسلا

اختار مجمع اللغة العربية بدمشق فضيلة الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي الندوي ؛ عضوا مراسلا في المجمع تقديرا لكفايته العلمية ؛ ونتاجه الخصب في الحقول المعرفية ، وذلك في اجتماعه المنعقد بتاريخ ٢٠٠٢/١/٣٠م .

ونحن إذ نهنئ الدكتور الإصلاحي على هذا الاختيار الموفق ونبارك انضمامه إلى أسرة المجمع ؛ نرجو الله سبحانه أن يوفقه إلى زيادة في نتاجه العلمي والأدبي ، ويرفع به مكانته المعرفية ؛ والاختصاصية في شتى نواحي العلوم والمعارف .

وفيما يأتي نص رسالة رئيس المجمع بهذا الخصوص ؛

الأستاذ الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي

تحية طيبة ؛ وبعد :

فيسعدنا إعلامكم أن مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق قد اختاركم في اجتماعه المنعقد بتاريخ ٢٠٠٢/١/٣٠م عضوا مراسلا في المجمع تقديرا لكفايتكم العلمية ؛ و نتاجكم الخصب في الحقول المعرفية التي تقع في نطاق تخصصكم ، و من المحقق أن انضمامكم إلى أسرة المجمع سيؤتي ثماره الطيبة .

وقد تفضل السيد وزير التعليم العالي باعتماد انتخابكم بكتابه ذي الرقم ٣/ت.ع ؛ والمؤرخ في ١٤٢٢/١١/٢٩هـ-الموافق ٢٠٠٢/٢/١١م .

نهنئكم بحيازتكم ثقة مجلس المجمع ؛ وتفضلوا بقبول تحياتنا الصادقة .

دمتم وسلمتم .

دمشق في : ١٤٢٢/١٢/٢هـ
٢٠٠٢/٢/١٤م

رئيس مجمع اللغة العربية

الدكتور شاكر الفحام

إلى رحمة الله تعالى

فضيلة الأستاذ شفيق الرحمن الندوي

في ذمة الله تعالى

قلم التحرير (س.أ.)

فقدت دار العلوم لندوة العلماء عضوا كريما من أسرتها العلمية والأدبية بصورة مفاجئة ، ألا وهو فضيلة الأستاذ شفيق الرحمن الندوي الذي استأثرت به رحمة الله ليلة الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الثاني ١٤٢٣هـ المصادف ٢٤/من شهر يونيو ٢٠٠٢م ، وقد كان الأستاذ المرحوم على حالته الطبيعية ، فلم يكن يخطر على بال أنه سيغادر إلى الآخرة بمثل هذه السرعة ؛ ويتخذ سبيل ربه تاركا وراءه الأهل والأولاد ؛ والأصحاب ؛ والأصدقاء جميعا ؛ ويرجع إليه راضيا مسرورا ، وراجيا من الله أن يشمله بالرحمة والمغفرة ؛ ويدخله مع عباده الصالحين في جنات النعيم فيكون من أصحاب النفس المطمئنة التي تتلقى نداء البشير ؛ وتستجيب له حينما يخاطبها الرب تبارك وتعالى بقوله : ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ! ارجعي إلى ربك راضيةً مرضية * فادخلي في عبادي * و ادخلي جنتي ﴾ فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الأستاذ شفيق الرحمن رحمه الله ، من أساتذة دار العلوم البارعين ، وقد تخرج منها في العلوم الإسلامية ؛ والفنون الأدبية في عام ١٩٦٠م ، وانتدبته بعض المدارس الإسلامية كأستاذ حيث قضى وقتاً لا بأس به في الأعمال التدريسية ؛ والكتابية ، وتربية الطلاب على منهج دار العلوم لندوة العلماء ثم رجع إلى دار العلوم ؛ كأستاذ للشريعة والأدب على طلب من المسئولين الكرام ، وذلك في عام ١٩٧٢م ، وقد كتب الله له طيب الإقامة فيها ؛ والاشتغال بالتدريس ؛ والدراسة ؛ والإقبال على مطالعة الفقه الإسلامي ؛

حتى طلب منه سماحة العلامة الكبير الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى ؛ رئيس ندوة العلماء سابقاً ، أن يؤلف كتاباً سهلاً في مسائل ؛ وأحكام الفقه لطلاب المتوسطة ؛ والثانوية ؛ وعلى غرار "نور الإيضاح" الذي كان كتاباً متداولاً بين المدارس الإسلامية ؛ فألف كتاب : الفقه الميسر" الذي جعل ضمن المقررات الدراسية في دار العلوم ، وقد نال الكتاب قبولاً عاماً ، فقبلته عديد من الجامعات ؛ والمدارس ؛ ومراكز التعليم في منهجها .

ومن أوصافه الحسنة البارزة أنه كان يتمتع بالشعور المسئولية ، و تقدير الوقت ، والمحافظة على مواعيد الدروس التي كان يلقيها على طلابه ، فكان محترما بينهم ؛ ولدى المسئولين عن دار العلوم الذين كان يساعدهم في عديد من الشئون التعليمية ، ونظراً إلى هذا الوصف الممتاز وُجهت إليه مسئولية المدارس الملحقة بدار العلوم التي لا يقل عددها عن ١٥٠ /مدرسة في داخل البلاد ، فكان يزورها حينا لآخر ، يفتش عن شئونها ؛ ويشير على القائمين عليها بما يكون في صالح التعليم والتربية ؛ وما يعينهم على التطور والتوسع ، فكانت له بذلك يد بيضاء على أهلها .

ومن ثم كانت وفاته خسارة كبيرة للأوساط المدرسية والعلمية ؛ ولدار العلوم بالذات ، وحدث بها فراغ في الهيئة التدريسية فيها ، قد يصعب أن يُسد بسهولة ، ولقد كان له اهتمام كبير بأداء الواجب في جميع المجالات ، بل إنه كان قدوة في هذا المجال لطبقة العلماء والمدرسين ، وهو مع ذلك كله كان متورعا في جميع الأمور ، عفيف القلب واللسان ، بعيداً عن مواضع الضعف التي طالما أصبحت أمارة هذه الطبقة من المسلمين ، وكان يرى إلى مستقبل بعيد ؛ ويهتم ببناء مستقبل الطلاب ؛ فيلفت أنظارهم إلى الالتزام بروح الموضوعية في أعمالهم ونشاطاتهم ، ويوصيهم بالمحافظة على الوقت ؛ ولوائح دار العلوم ؛ وإيثار مصلحة المدرسة على مصلحة الذات .

كان وطيد الصلة بفقيد الدعوة ؛ و الفكر الإسلامي سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله ؛ الذي كان يحبه ؛ ويشجعه دائماً ؛ ويتناوله بالعطف والكرم ، كما أن سعادة الشيخ العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي ؛ رئيس ندوة العلماء الحالي ؛ وخلف سماحة العلامة الندوي رحمه الله ، كان يحبه ويكرمه ، ويفرح باهتمامه الكبير بأداء الواجب الذي نيط به ، وهكذا كانت علاقته بجميع أعضاء الأسرة الندوية مخلصة ، فكان محبباً لديهم ؛ ومحترما في أعينهم .

خلف وراء أسرة حافلة بالأولاد ؛ وجماعة كبيرة من تلاميذه المعجبين به ، وقد خلفه في جميع الشئون العائلية والعلمية نجله الكبير الأخ الأستاذ طارق شفيق الندوي ؛ وهو الآن مدرس في الكلية الإسلامية بمدينة "غورخفور" في نفس الولاية .

تغمده الله تعالى بواسع رحمته ، وغفر له زلاته ، وتقبل منه ما قدمه من صالح أعماله ؛ و أدخله فسيح جناته ، و ألهم أهله ؛ و ذويه الصبر والسلوان .

فضيلة الأستاذ محمد لقمان خان الندوي الأزهري

ارتحل إلى رحمة الله تعالى

في الثالث والعشرين من شهر ربيع الثاني – الموافق ٥/من شهر يوليوعام ٢٠٠٢م يوم الجمعة ارتحل إلى رحمة الله تعالى ؛ واستجاب لنداء ربه فضيلة الأستاذ محمد لقمان خان الندوي ؛ نائب مدير دار العلوم تاج المساجد في مدينة "بوفال" بالولاية المتوسطة للهند سابقا . وعضو المجلس التنفيذي لندوة العلماء ؛ وعضو هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند ، و مدرس بالمدرسة الإسلامية العربية لفضيلة الشيخ المفتي عبد الرزاق في "بوفال" ، والشخصية المحببة بين أوساط العلم والدين ، ومن الأسرة العلمية المعروفة في "بوفال" ، والشقيق الأصغر لفضيلة العلامة الشيخ محمد عمران خان الندوي الأزهري رحمه الله ؛ مدير دار العلوم لندوة العلماء الأسبق ؛ والمشرف الأعلى لدار العلوم تاج المساجد في بوفال .

قد كانت وفاته أثناء إلقاء خطبة الجمعة في مسجد شكور خان في بوفال ، فما كان قد أتم الخطبة الأولى ؛ وجلس على المنبر ليتهيأ للخطبة الثانية ؛ إذ وافاه الأجل ؛ واستأثرت به رحمة الله تعالى ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل الكريم قد تخرج من جامعة ندوة العلماء في عام ١٩٥٧م من الدراسات العليا ، وسنحت له بعد ذلك فرصة الالتحاق بجامعة الأزهر بالقاهرة في عام ١٩٥٨م ، حيث أكمل دراسته الدينية في عام ١٩٦٢م ؛ وسافر من هنالك في عام ١٩٦٣م إلى الجماهيرية الليبية كمدرس في معهد البيضاء التباع لجامعة محمد علي السنوسي ؛ واستقر في هذه الوظيفة إلى مدة ، وقدرت له العودة إلى الهند ، والاشتغال بالتدريس وأعمال الدعوة ، في دار العلوم تاج المساجد في بوفال .

و قد كانت صلته بدار العلوم لندوة العلماء مدرسته الأم وثيقة ؛ فكان يزورها في مناسبات تعليمية ؛ ودعوية مختلفة ، ثم توطدت علاقته بالمفكر الإسلامي الكبير ؛ والداعية الإسلامي الشهير العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله ؛ الذي تلقى منه التربية الدعوية والفكرية ؛ واستفاد منه في بناء السيرة الإسلامية ؛ حتى أصبحت حياته قدوة في كثير من شئون الحياة الفردية والجماعية .

كان يتميز بصفة العلم والورع ، والحياة المتواضعة ، ومع ذلك فقد كان مضيافاً سخياً يرحب بالضيوف ؛ ويستضيف العلماء والدعاة ، ويكرم الأحبة والأصدقاء ؛ ولا يخاف في الله لومة لائم .

ذهب إلى رحمة الله تعالى ؛ ومات ميتة مغبوطة ، نرجو الله سبحانه وتعالى أن يكرم عبده ؛ ويحسن نزله ؛ وينور عليه قبره ، ويجعله ممن أنعم عليهم من النبيين ؛ والصديقين ؛ والشهداء ؛ والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

تغمده الله تعالى برحمته الواسعة ؛ ويغفر زلاته ، ويدخله فسيح

جناته ؛ ويلهم أهله ؛ وذويه الصبر والسلوان ، فإنه سميع مجيب قريب ، وإن رحمة الله قريب من المحسنين .

دكتور مصاحب علي الصديقي

في ذمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى في ١٩/من شهر يونيو ٢٠٠٢م ؛ الموافق ٨/من شهر ربيع الثاني ١٤٢٣هـ ؛ دكتور مصاحب علي الصديقي ؛ أحد خبراء التعليم ؛ وأستاذ اللغة الإنجليزية في دار العلوم لندوة العلماء ، وذلك عن عمر يناهز ٨٩/عاماً ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الدكتور رحمه الله قبل أن يتعين في دار العلوم لندوة العلماء كأستاذ ، عميد كلية المسلمين السنيين في مدينة لكناؤ ، وكانت جامعة عليكره الإسلامية ؛ قد انتدبته كمسجل في الشئون الإدارية التابعة لمدير الجامعة ، ولكنه آثر البقاء في لكناؤ على وظيفة العميد للكلية ، وظل على منصبه ؛ حتى أحيل إلى المعاش ، ونظراً إلى براعته الأدبية والعلمية ؛ وخبراته التعليمية ؛ طلب المسئولون عن دار العلوم خدماته لتدريس اللغة الإنجليزية فيها ؛ فقبل ذلك بكل سرور ؛ وقام بأداء الواجب ؛ وإفادة الطلاب في مجالات مختلفة إلى أن عجز عن أداء المسئولية ؛ فاعتذر إلى المسئولين الكرام ؛ واستقال في عام ١٩٩٥م ، وتقاعد عن العمل فيها .

قضى المرحوم مدة عمله في دار العلوم كمدرس خبير ؛ وشاعر بالمسئولية ، فقد كان طلابه يحترمونه ، ويرون فيه أستاذاً شفيقاً ناصحاً لهم ، فترك بذلك قدوة حسنة في حياته لأجيال المدرسين ؛ والمربين في المدارس الإسلامية .

تغمده الله تعالى بواسع رحمته ؛ وجزاه على حسن قيامه بأداء الواجب ، وبدل سيئاته حسنات ، وأدخله جنات النعيم ، فإنه على كل شئ قدير .

رحيل فقيه الأمة فضيلة الشيخ المفتي رشيد أحمد اللدهيانوي

تلقينا نبأ وفاة فضيلة الشيخ المفتي رشيد أحمد اللدهيانوي ؛ الفقيه

الكبير ؛ والعالم الجليل بتأخير ؛ ذلك لأنه انتقل إلى رحمة الله تعالى في ٦/من شهر ذي الحجة المنصرم لعام ١٤٢٢هـ فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الفقيد الكريم من أبناء دار العلوم ديوبند ؛ حيث قضى وقتاً في خدمة الإفتاء ؛ و تدريس الفقه الإسلامي ، ثم انتقل إلى باكستان بولاية السند ، وجعلها منطلقاً لنشاطاته العلمية في هذا المجال ؛ وانضم إلى هيئة المدرسين في مدرسة "دار الهدى" بلدة "تهيري" ، واشتغل بتدوين الفتاوى في ضوء دراساته الفقهية ؛ وألف عدة كتب في الموضوع .

ولما انتقلت دار العلوم كراتشي من جوّ المدينة إلى منطقة واسعة خارج البلد طلب إليه المسئولون عنها خدماته التعليمية ؛ والفقهية في دار العلوم ؛ فاستجاب لهذا الطلب ؛ و قدم إلى دار العلوم مع جماعة من أساتذة بارعين ؛ وبدأ فيها عمله الدراسي ؛ وأفاد الطلاب بعلمه الغزير ؛ ونظرته العميقة ، فقد كان يتميز مع تعمقه في موضوع الفقه الإسلامي ؛ والسنة الشريفة ؛ والإفتاء ، في المنطق ؛ والنظرات القديمة والجديدة في علم الفلك ، والرياضي ، والحساب كذلك .

وكانت له براعة في التدريس والتدوين ، فقد دون فتاواه ؛ ونشرها في ثمانية مجلدات ضخمة ؛ باسم : (أحسن الفتاوى) وهي تحتوي على دراسات قيمة علمية وفقهية ، كما أن مواعظه الإصلاحية نالت قبولا واسعا بين الجماهير المسلمة ؛ وأصبحت سببا للإصلاح العام ، وقد أنشأ اتباعه والمعجبون به مؤسسة خيرية إسلامية ؛ باسم : "مؤسسة وقف الرشيد" قامت بخدمات واسعة في المجالات الخيرية ؛ ونالت قبولا بين الناس وأصدرت صحيفة أسبوعية ؛ باسم : "ضرب المؤمن" ؛ وأدت دوراً كبيراً بارزاً في مجال الإصلاح و التربية ، و أصدرت بعد ذلك جريدة يومية ، باسم :" الإسلام" فكان لها دور واسع في مجال الإصلاح الاجتماعي .

وعلى كل ؛ فإن الفقيد الكريم رحمه الله ؛ قد أكرمه الله بالتوفيق الكامل ؛ ورزقه حياة حافلة بالأعمال الجليلة ؛ وبالجوانب المشرقة بكل

إخلاص وتجرد ، و ورع ونزاهة كبيرة ، له من الآثار العلمية والتربوية ما لا يجتمع إلا في أفذاذ من الرجال .

تغمده الله تعالى بواسع رحمته ، وغفر له زلاته ؛ وأكرمه بالنزل الكريم في جنات النعيم ، وملأ فراغه برجال أكفاء ، وألهم أهل واتباعه ؛ وذويه الصبر الجميل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

حرم فضيلة الشيخ المقرئ محمد مبين الفتحفوري

في ذمة الله تعالى

أفادت الأنباء بوفاة حرم فضيلة الشيخ المقرئ محمد مبين الفتحفوري نسيب العالم الرباني الكبير فضيلة الشيخ وصي الله الفتحفوري ؛ ثم الإله آبادي (رحمه الله) ؛ وخلفه في الأعمال التربوية والدعوية ، وصاحب مدرسة "وصية العلوم" بإله آباد (الهند) نسبة إلى فضيلته .

فقد كانت حرمه كبرى البنات للشيخ الرباني الكبير وصي الله (رحمه الله) و كانت مريضة منذ مدة ، و رغم معالجات كثيرة لم يكتب لها الشفاء ؛ وتوفيت في ليلة غرة جمادى الأولى لعام ١٤٢٣هـ (١٣/من شهر يوليو ٢٠٠٢م) فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ونحن إذ ننعى الفقيدة إلى جميع الأوساط العلمية والدينية نبتهل إلى الله سبحانه أن يتغمدها بواسع رحمته ، وينزل عليها شآبيب الرحمة والمغفرة ، ويسكنها فسيح جناته ؛ ويلهم أولادها وزوجها ؛ وأفراد العائلة جميعا الصبر والسلوة .

كانت المرحومة من فضليات النساء متورعة صالحة ، وقد خلفت وراءها عددا من الأنجال والبنات ، وذكريات طيبة من أسرتها السعيدة ، وزوجها الكريم ، نرجو أن تكون مصداقا لقوله تعالى :

﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ! ارجعي إلى ربك راضية مرضية ﴾

* * *

رحيل الأستاذ محمد مسعود خان ؛ الوزير الأسبق

انتقل إلى رحمة الله تعالى إثر حادث اصطدام في مدينة دلهي الجديدة ، الأستاذ محمد مسعود خان الوزير الأسبق في حكومة ولاية (أترابراديش) ؛ و عضو البرلمان ، وأحد الزعماء السياسيين المنتمين إلى حزب الشعب : (Lok Dal) ؛ وذلك في ٤/من شهر يوليو ٢٠٠٢م – الموافق ٢٢/من شهر ربيع الثاني ١٤٢٣هـ فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل الكريم من مديرية أعظمكره بولاية أترابراديش الهند ، ومحبا لدى المسلمين ؛ فقد كانت له إسهامات في حل قضايا المسلمين ؛ وتطوير البناء الحضاري في ولاية أترابراديش ، وكان يعتني بالمشكلات التي تعرضت للمسلمين في الولاية وخارجها ؛ حول كثير من الشئون الدينية والأدبية التي كانت تختص بهم ، وله أياد بيضاء على الشعب الهندي الذي كان يعيش في الجزء الشرقي للولاية بوجه خاص ، ولذلك فكان الناس ينتخبونه في كل انتخاب يجرى في البلاد على مستوى الولاية ، واختير عضو البرلمان في المدة الأخيرة .

ومن امتيازاته الخاصة أنه كان لا يستغل وظيفته في خدمة مصالحه الشخصية ؛ أو العائلية ، بل كانت خدماته تعم الجميع من المسلمين وغيرهم ، وهو بالذات كان يعيش عيشة متواضعة جدا .

وتحقيقا للفرص التي تهدف إلى نشر التعليم ؛ ورفع مستواه مع الجمع بين العلوم العصرية والدينية ؛ أنشأ مدارس وكليات بجهوده الشخصية ، مما كان له أثر بالغ في نفوس الناس ؛ وقام بإتاحة الفرص السانحة للتعليم على جميع المستويات .

كانت له علاقة بندوة العلماء ورجالها المسئولين عنها ، وخاصة برجلها العظيم سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله) الذي كان يحبه ويكرمه لدى كل زيارة يقوم بها لسماحته .

رحمه الله رحمة واسعة ، وغفر له زلاته ؛ ويتقبل صالح أعماله ؛ ويدخله فسيح جناته ؛ ويملأ الفراغ الذي حدث بوفاته ؛ فإنه على كل شئ قدير .

العـــدد القـــادم

وسيكون العدد الأول – بمشيئة الله تعالى – للمجلد الثامن والأربعين ؛ وسيصدر – إن شاء الله تعالى – في الشهر القادم لعام ١٤٢٣هـ ؛ ويتضمن بحوثا ومقالات من العلم والدعوة – بإذن الله تعالى – (والله الموفق وهو المستعان)

البعث الإسلامي
دار العلوم ندوة العلماء لكناؤ (الهند)
ص. ب ٩٣
هاتف : ٧٨٧٢٥٠–٧٨٨١٦٦
رقم الفاكس : ٠٥٢٢–٧٨٧٣١٠ .

ALBAAS-EL-ISLAMI
DARUL ULOOM NADWATUL ULAMA
P. O. Box : No. 93, Lucknow (India)
Phones : 787250-788166
Fax : 0522-787310

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم ! حفظه الله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة ، نشكركم على ما تتابعون من قراءة : "البعث الإسلامي" ، وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة ، تصدر من ٤٥/عاما بالاستمرار ، وهي الآن في عامها السادس والأربعين – والحمد لله – .

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جدا ، وبتكلفة باهظة ، وهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم ، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي منكم ، وببذل شئ من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم ، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول .

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك ، باسم : (ALBAAS-EL-ISLAMI) . بالعنوان التالي :

مكتب "البعث الإسلامي"
مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء – ص. ب ٩٣
لكناؤ (الهند)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أخوكم المخلص
سعيد الأعظمي الندوي
رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"
ص. ب ٩٣ – مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء – لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

(Issue-10) Sep.- Oct. 2002 (Monthly)

صدر حديثا :

العالم الهندي الفريد

الشيخ المقرئ محمد طيب

رئيس الجامعة الإسلامية دار العلوم / ديوبند سابقا

تأليف

نور عالم خليل الأميني

رئيس تحرير مجلة « الداعي » العربية الشهرية

وأستاذ الأدب العربي بالجامعة الإسلامية دار العلوم / ديوبند

ديوبند ، يوبي ، الهند

الناشر



مؤسسة العلم والأدب، ديوبند، الهند

Printed and Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlise Sahafat-Wa-Nashriyat (Deptt. Of Journalism and Publicity) NadwatulUlama at Parekh Offset Printing Press, Tagore Marg, Lucknow. U.P.